المملكة العربية السعودية
وزارة التربية والتعليم
التطوير التربوي

وزارة التربية والتعليم
MINISTRY OF EDUCATION

قررت وزارة التربية والتعليم تدريس
هذا الكتاب وطبعه على نفقتها

التفسير

للصف الثاني الثانوي

طبعة ١٤٢٨ هـ - ١٤٢٩ هـ
٢٠٠٧م - ٢٠٠٨م

توزع مجانا ولا يباع

ح وزارة التربية والتعليم ، ١٤٢٦هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
وزارة التربية والتعليم
التفسير للصف الثاني ثانوي لمدارس تحفيظ القرآن الكريم /
وزارة التربية والتعليم – الرياض ، ١٤٢٦ هـ .
... ص ؛ ... سم
ردمك : ٤ ـ ١٨٢ ـ ٤٨ ـ ٩٦٦٠
١ – القرآن – التفسير – كتب دراسية ٢ – التعليم الثانوي – السعودية
– كتب دراسية أ – العنوان
ديوي ١٠٧١٢ ، ٢٢٧ ١٤٢٦/٦٠٥٣

رقم الإيداع : ١٤٢٦/٦٠٥٣
ردمك : ٤ ـ ١٨٢ ـ ٤٨ ـ ٩٦٦٠

لهذا الكتاب قيمة مهمّة وفائدة كبيرة فلنحافظ عليه ولنجعل نظافته تشهد على حسن سلوكنا معه...

إذا لم نحتفظ بهذا الكتاب في مكتبتنا الخاصة في آخر العام للاستفادة فلنجعل مكتبة مدرستنا تحتفظ به...

حقوق الطبع والنشر محفوظة لوزارة التربية والتعليم ـ المملكة العربية السعودية

موقع وزارة التربية والتعليم
www.moe.gov.sa

موقع الإدارة العامة للمناهج
www.moe.gov.sa /curriculum /index.htm

بريد وحدة العلوم الشرعية
runit@moe.gov.sa

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي أنزل كتابه الكريم قرآناً عربياً لقوم يعقلون، وفصل آياته لقوم يعلمون، والصلاة والسلام على محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فهذا مقرر التفسير للسنة الثانية الثانوية بثانويات تحفيظ القرآن الكريم التابعة للرئاسة العامة لتعليم البنات الذي يشتمل على تفسير السور القرآنية التالية : (غافر ، فصلت ، الشورى، الزخرف) وفقاً لما جاء بالمنهج المعتمد الذي يقضي بإلمام الطالبات بتفسير قدر مناسب من سور القرآن الكريم قصد منه ما يلي :

١- تزكية نفوس الطالبات بما اشتمل عليه القرآن الكريم من تقرير أصول العقيدة الصحيحة وتربيتهم بما جاء فيه من قصص القرون الأولى وأحوال الآخرة وما فيها من ثواب وعقاب.

٢- إثارة ملكة الفهم لدى الطالبات وحفزهن على استيعاب معاني القرآن الكريم، وفهم أحكامه ومقاصده والوقوف على هديه في جوانب الحياة المختلفة بغية العمل الجاد لبناء الحياة الحديثة في المجتمعات الإسلامية طبقاً لهذا الهدي الذي يحقق للإنسانية رقيها وسعادتها.

٣- إمداد الطالبات بثروة لغوية في شرح الآيات القرآنية سواءً في مفرداتها أو في معانيها الإجمالية، كي يمكنهن الاستفادة منها في التعبير عما في نفوسهن من معانٍ بألفاظ فصيحة ويسيرة وبأساليب متنوعة .

٤- إبراز وجوه الإعجاز القرآني المتنوعة أمام الطالبات في صور تتناسب مع مستواهن العلمي وإدراكهن العقلي خاصة في الجوانب اللغوية والتشريعية ، وما تعرض له الآيات ـ بالإشارة أو الإجمال ـ من أسرار الكون ومظاهر مخلوقات الله الدالة على عظمته وقدرته، كي تدرك

الطالبات أن التحدي القرآني الذي ووجه به أساطين البلاغة والبيان في عصر التنزيل ـ ما زال قائماً إلى الإنسانية التي أعجزها من قبل وما يزال حتى يوم الدين .

وقد راعينا في هذا التفسير تحقيق هذه الأهداف من خلال الخطوات المنهجية التالية :

أولاً: تقديم موجز للسورة القرآنية وتعريف بها تحت عنوان: (بين يدي السورة)، ويشتمل على:

أ) حديث عن اسم السورة الذي عرفت به وغيره من أسماء إن وجدت .

ب) مكية السورة أو مدنيتها وعدد آياتها.

ج) فضائل السورة وما ورد فيها من آثار مع الالتزام بالصحيح منها في هذا الموضوع.

د) أهم موضوعات السورة ـ بإيجاز ـ مع عدم شرحها أو ذكر أرقام الآيات التي عرضتها.

ثانياً : تفسير السورة وقد التزمنا فيه ما يلي :

أ) تقسيم السورة إلى مقاطع يضم كل منها مجموعة من الآيات يجمعها معنى واحد أو تعالج موضعاً بعينه جعلناه عنواناً لهذا المقطع .

ب) ذكر آيات المقاطع المفسرة مصورة من المصحف وذكر السبب الصحيح لنزلوها إن وجد.

ج) ذكر معاني المفردات وشرح غريبها والمراد بها في سياقها في جدول مستقل.

د) المعنى الإجمالي الآيات كل مقطع مع مراعاة سبك المعنى وترابط معاني الآيات واتصالها بما قبلها وما بعدها .

هـ) وإتماماً للفائدة قمنا باستنباط الفوائد من آيات كل مقطع وتسجيلها مستقلة عقب معناها الإجمالي ، والاستشهاد لكثير منها بآيات القرآن الكريم والآثار الصحيحة التي جمعناها.

و) وكما أتبعنا ذلك بمناقشة وأسئلة تثير في الطالبات محصولهن العلمي وتشحذ عقولهن للتفكير والتدبر أثناء التحصيل والدرس، وتذكرهن بأهم ما تضمنته مقاطع السورة.

هذا وقد التزامنا في تنفيذ هذه الخطة ـ ما وسعنا الالتزام ـ الضوابط المحددة التي تضمن سلامتها وصحة المنهج للوصول إلى الأهداف سالفة الذكر ، ومن ذلك : توخي المصادر الموثوقة والإحالة إليها ، والالتزام في مجال العقيدة بصريح الكتاب والسنة ، والاقتصار في تفسير الآيات ومعانيها على الراجح منها ، والإشارة إلى غيره أحياناً إن كان لذلك فائدة معتبره، وعزو الآيات إلى سورها وأرقامها فيها ، وتخريج الأحاديث في كتبها وأبوابها من الصحاح والسنن مع ذكر رواتها ، وإبراز الحقائق القطعية في المعارف البشرية المجملة ـ أو المشار إليها ـ في القرآن الكريم ، والتنبيه على هدى القرآن الكريم وخاصة فيما يمس واقع الحياة الحاضرة وتشتد حاجة الناس إلى معرفته لإصلاح حياتهم، وغير ذلك من ضوابط يلحظها القارئ ولا يفتقدها أبداً.

والله الموفق.

المؤلف

الفصل الدراسي الأول

بين يدي السورة

(أ) اسم السورة :

تعرف هذه السورة بسورة « غافر » كما تسمى سورة « الطَّوْل » وسورة « المؤمن » ، والاسمان الأولان واردان بالسورة في الآية الثالثة منها ، والاسم الأخير مأخوذ من قصة مؤمن آل فرعون الذي ورد ذكره في الآية الثامنة والعشرين منها ولم ترد قصته في غير هذه السورة من القرآن الكريم ، كما ورد تسميتها به في قول ابن عباس رضي الله عنهما : أنزلت سورة حم المؤمن بمكة [١].

(ب) تنزلات السورة ومكيتها :

نزلت سورة غافر بعد سورة الزمر وتأتي في المرتبة الستين من حيث نزول سور القرآن الكريم، كما يأتي ترتيبها في المصحف الشريف من حيث التوقيف والتلاوة في المرتبة الأربعين .

والسورة في مجموعها مكية [٢] كما روي ذلك عن ابن عباس في الأثر السابق ومثله عن ابن الزبير، كما نقل عن ابن عباس نزول آل حم السبع جميعها بمكة [٣].

وعدد آيات السورة خمس وثمانون آية ، كما هي عليه في المصحف الشريف [٤].

(ج) فضائل السورة :

رويت في فضائل السورة ـ مع أخواتها من آل حم « فصلت، الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف » آثار موقوفة على بعض الصحابة رضي الله عنهم منها ما قاله ابن عباس : إن لكل شيء لُباباً

---

(١) راجعي فتح القدير ٤/ ٤٧٩ .

(٢) قال ابن عباس وقتادة إلا آيتين منها نزلتا بالمدينة هما : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ والتي بعدها .

(٣) راجعي : فتح القدير ٤/ ٤٧٩ .

(٤) وذلك في عدّ الكوفيين الذين حصرت آيات المصحف على عدهم ، راجعي : التبصرة ، ص ٤٩٢ ، غيث النفع ص ٣٤٠.

وإن لُباب القرآن آل حم ، وقال ابن مسعود : إذا وقعت في آل حم فقد وقعت في روضات أتأنق فيهن ، كما قال : آل حم ديباج القرآن ، وقد رفع أنس هذا إلى رسول الله ﷺ [1].

(د) أهم موضوعات السورة :

١ـ تدور السورة في عمومها حول موضوع أساسي هو الصراع الدائم بين الحق وأصحابه من المؤمنين، والباطل وأصحابه من الكفار والمشركين وعاقبة كل منهما في الدنيا والآخرة .

وفي ثنايا هذا الموضوع نلمح بعض الموضوعات الجزئية مثل :

٢ ـ جدل الكفار بالباطل في آيات الله ودلائله على التوحيد والرسالة واليوم الآخر.

٣ ـ مصارع الغابرين من المجادلين وذكر فرعون وهامان وقارون أمثلة للمجادلين.

٤ ـ وصف حال المشركين والمجادلين وما يلقونه يوم القيامة .

٥ ـ المشاهد الكونية والنفسية الدالة على وحدانية الله وقدرته.

٦ ـ حمل الملائكة للعرش وتسبيحهم واستغفارهم للمؤمنين.

٧ ـ قصة فرعون وكيده لموسى عليه السلام وقومه ، وتجبره في الأرض.

٨ ـ قصة مؤمن آل فرعون وحرصه على إيمان قومه ومناصحته لهم.

٩ـ تعداد لبعض نعم الله على عباده ورحمته بهم.

---

(١) راجعي تفسير القرآن العظيم ٤/ ٦٩ ، فتح القدير ٤/ ٤٧٩ .

جدل الكفار ولون من هلاكهم وفوز المؤمنين

بسم الله الرحمن الرحيم

حٰمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ
ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ
إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ
نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ
لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ
فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى
ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ
وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا
فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾
رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ

مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٧﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾

(سورة غافر) .

معاني المفردات :

الكلمة	معناها
حم~	: فواتح السور هذه من الأحرف المقطعة التي تُنطَقُ بأسمائها هكذا : حاميم ، هي من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه[1] .
العزيز	: الغالب والقوي القادر الذي لا يُغْلب ولا تُحدّ قوته أو قدرته .
غافر الذنب	: غفران الذنوب سترها وعدم المؤاخذة عليها .
قابل التوب	: أي التوبة ، وقبولها فتح الله باب رحمته للتائبين من عباده .
الطَّوْل	: التفضل والإنعام ، أو السعة والغنى ، والأول هو المراد.
يجادل	: الجدل المخاصمة الشديدة تكون لاستيضاح الحق أو لدحضه، والمراد الأخير كما في الآية بعد.
يغـرك تقلبـهم	: يخدعهم أمنهم وسلامتهم مع كفرهم وحظوظهم في الدنيا .

(١) مَنْ أوّل هذه الفواتح قال : إنها أدوات تنبيه إلى ما يقال بعدها ، أو إنها رمز للتحديث والإعجاز وإشارة إلى كون كلمات القرآن من جنسها ومع ذلك لم يستطيع السامعون الإتيان بمثله..

الأحزاب : الجماعات التي تحزَّبت ، والمراد من كذبوا الرسل ، كعادٍ وثمود .

هـمـــــــت . . : عَزمتْ وحرَصتْ .

ليدحضوا : ليردوا ويبطلون من الإدحاض ، وهو الإنزلاق وعدم الاستقرار .

حقت : وجبت ولزمت ، والمراد استحقاق العذاب ودخول النار .

العرش : هو في اللغة سرير الملك، وعرش الله هو السرير ذو القوائم الذي هو كالقبة على العالم وسقف المخلوقات [1] .

جنات عدن : العدن في الأصل الإقامة، أي جنات استقرار وإقامة دائمة .

قِهِم : فعل الأمر من وقي المسند إلى ضمير الجلالة غير الظاهر أي احفظهم بوقايتهم من العذاب .

السيئات : جمع سيئة وهي الذنب ، والمراد فعل السيئات أو ما يسؤوهم من العذاب على فعلها .

الفوز : الحصول على المأمول والظفر بالمطلوب .

المعنى الإجمالي للآيات :

تبدأ هذه السورة بحرفي الهجاء « حا ، ميم » للتنبيه على أهمية ما يقال بعدها ، وهو هذا القرآن المنزل على محمد ﷺ، فهو صادق فيما يخبر عن ربه الذي لا يغلبه غالب ولا يفوت علمه فائت.

ويتابع السياق التعريف ببعض صفات الله تعالى، فمع عزة الله وعلمه يغفر ما سلف من ذنوب عباده، ويقبل توبة من رَجَع إلى جنابه، وهو شديد العقاب لِمَن بغى ولم يرجع ، ثم هو المتفضل على عباده بالنعم، المعطي لهم بغير حساب، ومِن ثَمَّ لا تكون الألوهية إلا له وحده، فلا مثل له في هذه الصفات ولا نظير، كما لا يكون لغيره المرجع والمصير.

(١) راجعي العقيدة الواسطية وشرحها ، ص٧٦ .

وتلك الصفات العلوية كما يعرفها المسلمون لربهم يقرها الوجود كله المستلم لربه ، ولا يشذ عن ذلك فيخاصم ـ بالباطل ـ في آيات الله الدالة عليها ، إلا الذين كفروا بالله وجحدوا صفاته فهؤلاء قد ساروا في طريق الهلاك مهما كان لهم من سلطان أو حصول من حظوظ الدنيا ، فلا انخداع بهذا كلِّه عندهم، ولا اغترار بسلامتهم مع كفرهم فلن يهملهم الله أبداً وإن أمهلهم قليلاً .

ولقد سبق الكفارَ في عصر التنزيل أقوامٌ وأحزاب على شاكلتهم كذبوا رسلهم كقوم نوح وعاد وثمود، هموا بقتلهم والبطش بهم ، وشوشوا على دعوتهم بشُبَهٍ باطلة قاصدين رفض الحق وتوحيد الله ، فأهلكهم الله ونكل بهم حتى تعجبت الأمم من شدة البطش بهم ، وهكذا يفعل الله بالكفار من هذه الأمة الذين وجبت عليهم كلمة العذاب واستحقوا أن يكونوا أصحاب النار وأهلها لأنهم أصروا على الكفر والجدل في الآيات.

فأين هؤلاء الكافرون من المؤمنين الذين يُذكَرُون في الملأ الأعلى من عبادٍ لله مؤمنين ومثلهم، منهم من يحمل عرش الله ومنهم من يطوف حوله ويحف به، يذكرونهم كذكر الله وتسبيحهم بحمده، بل يدعون الله ويستغفرونه لهم مقدمين بين يدي دعائهم واستغفارهم أدبهم الجم وإقرارهم برحمة الله وعلمه اللذين وسعا كل شيء فلا يضيقان بالتائبين من ذنوبهم الآيبين إلى ربهم السالكين طريق الحق والمتبعين منهج الله، ومن ثمَّ يدعون لهم بالصفح والوقاية من عذاب الجحيم .

ويرتقون في الدعاء ويتوسعون فيه بسؤال الله إدخالهم الجنة التي وعدهم الاستقرار بها وإدخال الصالحين معهم من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم كما في قوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾

[سورة الطور : ٢١].

فليس ذلك ببعيد على الله الغالب فلا يمتنع عليه شيء والحكيم في قوله وفعله فلا معقب لحكمه، ثم يدعون لهم أخيراً أن يقيهم الله الوقوع في سيئات الدنيا حتى ينجيهم من عاقبتها يوم القيامة ، ومن ثم يدخلون يومئذ في رحمة الله ولطفه ويفوزون بنجاتهم من عذابه ، وهذا في ذاته فوزٌ أيُّ فوز وسعادة عظيمة.

١- من صفات الله العزة والعلم وغفران الذنوب وقبول التائبين وشدة العقاب والتفضل والإنعام.

٢- شهادة الله أن الكتاب الكريم منزل من عنده وأن محمداً ﷺ صادق فيما يخبر به عن الله .

٣- دأب القرآن الكريم على إطماع العباد في رجاء الله وثوابه وتخويفهم من عذابه وعقابه ، كما قال تعالى : ﴿ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾ .

[سورة الحجر : ٤٩-٥٠]

٤- الجدل في الأمور إن كان بالباطل فمذموم، وإن كان بالحق والتي هي أحسن فمحمود وممدوح.

٥- عرش الله حمل الملائكة له وحفهم به من الغيبيات التي يسعنا التسليم بها دون الخوض في حقيقتها.

٦- تعذيب الله للمكذبين لرسلهم حيث لا يهملهم الله أبداً وإن أمهلهم كثيراً في الدنيا.

٧- كرامة المؤمنين عند الله وذلك بدعاء ملائكته لهم في الملأ الأعلى عند عرش الرحمن .

٨- انتفاع الذرية والأقارب بصلاح أقاربهم إن آمنوا مثلهم واتبعوهم في صلاحهم .

١- وضحي معاني الكلمات القرآنية التالية: (الطول، يغررك، ليدحضوا، حقت، قِهِم، الفوز).

٢- ما اسم هذه السورة؟ وماذا تعرفين لها من فضائل؟ وما أبرز ما عرضت له من موضوعات؟

٣- ما المراد بحرفي « حم~ » وما موضوع هذا المقطع ؟ وما الصفات الإلهية التي ذكرت في أولى آياتـه ؟

٤- ما المراد بآيـات الله هنا ؟ وما صفة المجادلين فيـها ؟ وما نظيرهم في الأمم ؟ وما جزاؤهم عند الله ؟

٥- كيف تستدلين من الآيات على هوان الكـفار وكـرامة المؤمنين عند ربهم ؟ ولماذا قوبل بين الفريقين ؟

٦- هل الجدل مشروع أم باطل ؟ وهل ينفع العبدَ صلاحُ غيره ؟ دللي على ما تقولين بما تحفظين من القرآن .

٧- اذكري ثلاث فوائد من هذا المقطع مع شرح ما يتعلق منها بعرش الله وحمل الملائكة له .

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ
أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾
قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا
فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ
ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ
ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ
لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾
فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾
رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن
يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ
عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾
ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ
ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ

﴿ أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ﴿١٨﴾ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ
يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَائِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾
وَٱللَّهُ يَقْضِي بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ
بِشَيْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ ﴾

(سورة غافر) .

معاني المفردات :

الكلمة	معناها
لمقت	: المقت في اللغة شدة البغض وغاية الكره .
تُدعون إلى الإيمان	: يطلب منكم الإيمان بالله وحده وهو كقوله بعد : ﴿ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ ﴾.
أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين :	المراد بهما موتة العدم وهم نطف والموتة في الدنيا، والحياتان حياة الدنيا والحياة بعد البعث ، وهو الذي يشهد له القرآن الكريم كقوله : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ [البقرة : ٢٨].
العليّ الكبير	: المتعالي على كل شيء والكبير عن كل شيء.
رفيع الدرجات	: مترفع في مقامه ومتفرد في صفاته ، أو رافع لدرجات أنبيائه وأوليائه.
الروح	: المراد به الوحي، سمي بذلك لأن الناس يحيون به من موت الكفر كما تحيا الأبدان بالأرواح.

يوم التلاق : يوم القيامة الذي تلتقي فيه الخلائق بربها، ويجتمعون للحساب، فهو يوم اللقاء العام في ساحة القضاء.

بارزون : ظاهرون بادون من كل ما يُخفِي أو يستر .

يوم الآزفة : يوم القيامة القريب، ومثله ﴿أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ﴾ [النجم : ٥٧]، أي قربت الساعة.

الحناجر : جمع حنجرة ؛ وهي الجزء الأعلى من الحلقوم والرقبة من داخلها.

كاظمين : كظم الشيء كتمه وحبسه.

حميم : قريب ينفع أو صاحب عطف . وهو في الأصل الماء الشديد الحرارة ، أطلق على الصاحب لحرارة عطفه على صاحبه .

شفيع : من ينضم إلى غيره ويعاونه في تحقيق ما يريد فيصير شفعاً له.

خائنة الأعين : اختلاس النظر في غفلة المنظور إليه.

ما تخفي الصدور : ما تكتم الضمائر من السر المستور، والمراد من هذا أو سابقه ما كان في غاية الخفاء.

المعنى الإجمالي للآيات :

يبدأ هذا المقطع ببيان حال الكفار المجادلين في آيات الله ، فهم حين يعاينون عذاب الله ، ويتلظون بسعير النار ؛ يبغضون أنفسهم أشد البغض على ما أسلفوا من الأعمال التي قادتهم إلى هذا العذاب المهين، ولكنهم يُـزادون هواناً وذلك بإعلانهم أن غضب الله ومقته لهم في الدنيا ـ عند ما دعوا إلى الإيمان فكفروا وجادلوا بالباطل ـ لهو أشد وأعظم من مقتهم لأنفسهم في هذا اليوم المهين .

وفي هذا الموقف الذليل ـ بعد انكشاف الأمور ـ يجئ إقرارهم بقدرة الله والرجوع إليه ، فقد خلقهم وأحياهم من العدم والموت الأول ، ثم أماتهم في الدنيا وبعثهم أحياء من جديد لحسابهم ، كما يجيء اعترافهم بشركهم وتكذيبهم الرسل ومخالفتهم منهج الله ، ومن ثَمَّ يتمنون طريقاً للخروج من عذابهم،

ولا يُجابون لطلبهم وأمنياتهم ، ولا ينفعهم إقراراهم أو اعترافهم؛ لأن طبيعتهم نكدة تنفي الحق ولا تقبله ، فقد كانوا يكفرون بالله إذا طُلب منهم توحيده، فإن أُشرِك به غيره أجابوا الداعي إلى الشرك وآمنوا به، ومِن ثَمَّ كان الحكم عليهم بالخلود في النار، وعدم الخروج منها، من الله العليّ الكبير الذي لا جور في حكمه ولا حيف في عدله.

وعلى ذكر علو الله تعالى وعظمته تذكر الآيات ما يناسب ذلك من صفات الله، فهو الذي يُظهر لخلقه دلائل وحدانيته وعلامات قدرته في مجالات الآفاق الكبيرة، وخفايا النفوس الدقيقة، ومنها ما ينزل الله من السماء رزقاً لعباده : كمياه الأمطار وغيرها مما لا يعتبر به أو يستدل منه على عظمة الله إلا من يرجع إلى طاعته ويتفكر في بديع خلقه وصنعه.

ومِن ثَمَّ يجيء توجيه الله لهؤلاء المنيبين ، باختصاصه بالدعاء وإخلاص العبادة له، غير عابئين بكره الكافرين لذلك ، فالله الذي يدعونه رفيع الشأن وعظيم المقام، وهو صاحب العرش، فله السلطان والعلو، وله الخلق والأمر يختار لوحيه من يشاء من عباده، فيأمره بإبلاغه إلى خلقه ليحذرهم من عذاب الله يوم القيامة ، أن يقولوا : ﴿ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] .

نعم ، يوم يكونون ظاهرين مكشوفين لا يسترهم شيء ولا يخفى على الله منهم شيء، حيث يدركون عياناً تفرد الله بالملك والسلطان ويسمعون ذلك مقرراً من جانب الله : ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ﴾، ويجيب نفسه حيث الكل في صمت رهيب ﴿ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾[1]، فهو مالك يوم الدين : ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾ [الانفطار : ١٩]

الذي يجزي كل نفس بما عملت ، فلا يحمل أحد وزر أحد ، حيث العدل المطلق والحساب السريع الذي لا تأجيل له ولا إهمال، فعلم الله محيط بأعمالهم ولا يشغله حساب عن حساب. ويخلص السياق إلى توجيه ـ الرسول ـ بإنذار كفار قومه وتحذيرهم من هول يوم التلاق ـ الذي قرب وقته وبدأت أماراته ـ حيث القلوب مضطربة ، والأنفاس محبوسة، والأصوات مكتومة ، والظالمون مكروبون ولا

(١) وقيل: إن هذا الجواب من سائر العباد مؤمنهم وكافرهم أو أنه حكاية عن حالهم الناطقة بهذا ، راجعي : فتح القدير ٤/ ٤٨٥ . .

نافع ينفعهم من قريب أو حبيب ، ولا شفيع يعطف عليهم فتقبل شفاعته فيهم ، وقد برزوا لله وانكشفوا بجميع عيوبهم ومساوئهم، حتى لفتة العين التي جهدوا في إخفائها وحديث نفوسهم وما تكنه ضمائرهم لا يخفى على الله منهم شيء ، ومن ثَمّ فقضاؤه عليهم هو القضاء المبني على العلم والقدرة والقائم على السمع والبصر، أما ما يُبعد من دون الله في هذه الدنيا أو يُشْرَك مع الله فلا حكم لهم ولا قضاء : إذ لا سمع لهم ولا بصر كما لا علم لهم بشيء ولا قدرة لهم على شيء .

من فوائد الآيات :

١- بُغض الله للكفار في الدنيا وكُرهه لهم أشد من بغضهم وكرههم لأنفسهم يوم القيامة.

٢- إقرار الكافرين واعترافهم في الآخرة بذنوبهم لا يعفيهم من حساب الله أو يخفف عنهم من عذابه.

٣- من صفات الله اللائقة بجلاله وكماله العلو والكبر والملك والوحدانية والقهر والعلم والقضاء والسمع والبصر.

٤- اصطفاء الرسل محض اختيار الله ومشيئته ، ومهمتهم إبلاغ الخلق وإنذارهم.

٥- أسماء اليوم الآخر كثيرة منها « يوم التلاق ، يوم القضاء ، يوم الجزاء ، يوم الآزفة ».

٦- علم الله شامل ومطلق ومحيط بالأعمال كلها صغيرها وكبيرها ﴿ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ﴾ [طه : ٧].

٧- قضاء الله بالحق وسرعة حسابه فلا ظلم عنده وإنما تُوفَّى كل نفس ما كسبت.

٨- لا ينفع الظالمين نسبهم في الآخرة ولا تسمع فيهم شفاعة ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾ [المدثر : ٤٨].

١- وضحي معاني الكلمات القرآنية التالية : (المقت ، الروح ، التلاق ، الآزفة ، كاظمين ، خائنة الأعين) .

٢- ما موضوع هذا المقطع؟ ولماذا يبغض الكفار أنفسهم يوم القيامة ؟ وبماذا يهانون في موقفهم هذا ؟

٣- هل ينفع الكفار إقرارهم واعترافهم في الآخرة؟ ولماذا ؟ وماذا يتمنون ؟ ولماذا ترفض أمنياتهم؟

٤- ما أبرز صفات الله المذكورة في هذا المقطع؟ وما المراد بالآيات التي يريها خلقه ؟ مثّلي لواحدة منها.

٥- ما وظيفة الرسول ﷺ ؟ وما أبرز صفات اليوم الآخر ومشاهده التي أنذر بها قومه ؟.

٦- وضحي بأسلوبك حيثيات قضاء الله في الآخرة بالحق ، وإحاطة عمله وشموله كما فهمتها في هذا المقطع .

٧- لماذا ينتفع المؤمن في الآخرة بصلاح قريب أو شفاعة ولا ينتفع الكافر بشيء من ذلك ؟

٨- اذكري ثلاث فوائد أفدتها من هذا المقطع مع شرح واحدة منها .

مصارع الطغاة وطرف من طغيان فرعون وأعوانه

﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۖ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ ﴾ (سورة غافر) .

معاني المفردات :

الكلمة	معناها
عاقبة	: آخر الشيء ونهايته ، ومأخوذ من العقب وهو مؤخر القدم، والمراد ما حل بالمكذبين من العذاب والنكال.
آثاراً	: جمع أثر ، والمراد ما تركوه من الحصون والعمائر ودلائل التمدن والتحضر.
واق	: اسم الفاعل من وقى ، يعني حافظ لهم من العذاب.
سلطان	: السلطان الحجة وسميت الحجة سلطاناً لقوة الحق وهيبته.
فرعون وهامان وقارون :	فرعون من الفرعنة وهي العتو والتجبر وهو اسم لملك مصر الذي عاصره موسى، أو هو لقب لكل من مَلكها مثل كسرى لفارس ، وقيصر للروم ، وهامان وزيره وصاحب مشورته ، وقارون صاحب الكنوز والأموال ، وخصهم بالذكر لأنهم رؤوس المكذبين بموسى عليه السلام .
استحيوا نساءكم	: اتركوهن أحياء ولا تقتلوهن.
كيد	: الكيد المكر والحيلة، والمراد به ما قصدوه من تقليل ذكور بني إسرائيل .
ضلال	: هلاك وخسران لأن كيدهم يعود عليهم . ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾ [فاطر : ٤٣] .
ذرونـي	: اتركونـي ودعونـي[1] .
عُذت	: استجرت والتجأت من التعوذ والتحصن.
متكبر	: متجبر ومستكبر عن الإيمان.

(١) توحي الكلمة بموجود مَن كان يمنعه في خاصته من قتل موسى .

المعنى الإجمالي للآيات :

انتهى المقطع السابق بإنذار المشركين وتيئيسهم من النصرة في الآخرة حتى من معبوداتهم الباطلة، وفي هذا المقطع يخوف الله المشركين بما حدث لأمثالهم من طغاة الأمم السابقة، ويوجههم إلى السير في الأرض والاعتبار بمصارعهم التي انتهوا إليها بكفرهم وتكذيبهم لرسلهم وقد كانوا أكثر منهم عددًا وأشد قوة وتمكناً في الأرض وأبقى حضارة وأثراً ، ولكنهم كانوا ضعافاً أمام بأس الله ونكاله، وما نفعهم شيء من ذلك ولا دفع عنهم عذاب الله أو وقاهم منه، إذ لا وقاية من هذا العذاب إلا بالإيمان بالله ورسله والعمل الصالح والخالص لوجه الله، فأما الكفر بالله وتكذيب الرسل والجدل فيما أتوا به فنهايته الدمار والهلاك من الله القوي الذي لا يعجزه شيء من خلقه، الشديد العقاب لمن أشرك به وجادل في آياته، وتلك سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا.

ويشرع السياق في عرض نموذج من الصراع بين الحق وأهله والباطل وأهله الذين جادلوا في آيات الله، ويتمثل هذا النموذج في إرسال الله لموسى عليه السلام ومعه معجزاته ودلائله البيِّنة لمواجهة الباطل الذي كان عليه جبابرة عصره كفرعون وأعوانه هامان وقارون الذين أسرعوا للجدل بمعجزات رسوله وإيمان السحرة، مكر الطغاة بموسى ومن معه، ولجأوا إلى القوة الغاشمة بقتل أبناء المؤمنين واستبقاء نسائهم إهانة لهم وإذلالاً،وصرفاً لهم عن الإيمان به، ولكن مكرهم ذهب هباء، وحاق المكر السيء بأهله فأرسل الله عليهم الآيات وأغرقهم وجنودهم أجمعين.

ولكن رأس الطغيان لم يكتف بذلك بل طلب من معاونيه أن يخلوا بينه وبين موسى ليقتله ولينظر ماذا يفعل له ربه، ويا عجباً له ! إنه يعلل استخفافه وطغيانه بخشيته وخوفه على قومه من موسى أن يغير دينهم ،أو يظهر في وطنهم الفوضى والخراب[1] ، فماذا صنع موسى تجاه هذا التهديد والوعيد؟ لقد لاذ بربه ورب الخلائق أجمعين، واستعان به على تكبر فرعون واستعلائه فهو القاهر لكل متكبر يأنف من الإيمان ولا يصدق بيوم الحساب.

---

(١) هذا منطق كل طاغية مفيد يلقيه في وجه الدعاة والمصلحين لإثارة الخواطر والنفوس ضدهم وتهييج الناس وتأليبهم عليهم ، وهكذا ينقلب الباطل على ألسنة الطغاة حقاً، ويدفعون الحق بالباطل الذي يجب أن يستأصل من جذوره قبل أن ينتشر في الناس ويهدد مصالح الطغاة وتحكمهم في رقاب العباد .

من فوائد الآيات :

١- عظة القرآن الكريم للكفار والمشركين وتخويفه لهم بما حدث للمكذبين من الأمم السابقة.

٢- الشرك بالله والجدل في آياته بالباطل سبب الهلاك والعذاب ولا وقاية منه إلا بالإيمان والعمل الصالح.

٣- الجدل في آيات الله بالباطل أسرع وسائل الطغاة في مواجهة الحق والداعين إليه.

٤- الكيد والمكر من الطغاة ينتهي بهم دائماً إلى الوبال والخسران ويعود مكرهم على أنفسهم.

٥- من وسائل الطغاة في مواجهة الحق ودعاته البطش بهم والفتك بأهليهم وإثارة الناس عليهم.

١- وضحي معاني الكلمات القرآنية التالية : (آثاراً، واق ، استحيوا ، كيد ، ذروني ، عُذْت).

٢- ما موضوع هذا المقطع ؟ وما سبب مصارع المكذبين السابقين؟ وما الذي يقي أمثالهم من هذا المصير ؟

٣- من الطغاة الذين واجهوا موسى عليه السلام ؟ ولماذا خُصوا بالذكر ؟ وماذا كانت وسائلهم في مواجهته ؟

٤- « للطغاة منهج يتكرر ولا يتخلف في مواجهة الحق ودعاته » اشرحي هذه العبارة في ضوء فهمك لهذا المقطع .

٥- اذكري اثنين من فوائد هذا المقطع واشرحيهما بأسلوبك الخاص.

مؤمن آل فرعون وحرصه على إيمان قومه

﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ
فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ
ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا
فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى
يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوْمِ
لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ
بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ
أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ
أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ
وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾
وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ
مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾
وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ
مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ

مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ
مُّرۡتَابٌ ٣٤ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ
أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ
يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ٣٥

(سورة غافر) .

معاني المفردات :

الكلمة	معناها
رجل مؤمن	: هو قبطي من جماعة فرعون وقرابته القوية ، بدليل إصغاء فرعون لحجاجه وصبره عليه.
بالبينات	: جمع بينة ، وهي البرهان الظاهر، والمعجزة الواضحة الدالة على صدق النبي .
مسرف كذاب	: المسرف المستكثر من الشيء والمراد الإسراف في العصيان، والكذاب المسرف في الكذب والافتراء.
ظاهرين	: غالبين للناس مستعملين عليهم.
بأس اللّه	: عذاب الله ونكاله.
يا قوم	: كرر النداء لتنبيههم وتخويفهم من مثل ما وقع للمكذبين مثلهم.
دأب	: الدأب العادة والدَّيْدن، وهو الشأن والحال كذلك، والمراد الأخير .
عاد وثمود	: هما قوم نبي الله هود وصالح عليهما السلام.

يوم التناد : يوم القيامة [1] .

عاصم : مانع يمنع من وقوع عذاب الله.

مرتاب : متشكك غير مصدق ولامقتنع،أصله من الريب وهو الشك .

مقتا : المقت شدة البغض وغاية الكره .

يطبع : الطبع على القلب خَتْمه وإغلاقه على ما به من الشر .

المعنى الإجمالي للآيات :

انتهى المقطع السابق باستجارة موسى عليه السلام بربه من تكبر فرعون وتجبره، ويجير الله نبيه في الحال فينهض له واحد من آل فرعون وقع الحق في قلبه وكتمه عن قومه ليدفع عن موسى الطغيان، ويسلك مع قومه منهجاً قوياً في الحجاج والجدل بالحكمة والموعظة الحسنة، إنه يستنكر ما هم مقدمون عليه من قتل نفس محرمة ما زاد صاحبها على قوله : ربيّ الله ، فهل يرد على قوله هذا البريء بقتله والحال أنه معه براهين قوله ودلائل صدقه من عند ربه التي رأوها ولا يستطيعون لها نكراً ؟

ويتلطف الرجل المؤمن في محاجة قومه وإنصافهم، فيفترض لهم كذب موسى، فإن يكن كذلك فلا عليهم ، بل يحمل وحده تبعة كذبه ، وإن كانت الأخرى وكان موسى صادقاً ، فلا أقل من احتياطهم لهذا الاحتمال وعدم تعريض أنفسهم لمغبة تكذيبه واعتدائهم عليه، ثم يعرض الرجل بهم في هذا الإنصاف العام الذي ينطبق على موسى قبل انطباقه عليهم[2] ، فلو كان موسى مسرفاً كذاباً لاضطرب أمره، وما اهتدى إلى قول أو فعل صحيح، وحينئذ سيلقى جزاء إسرافه وكذبه فلا حاجة بهم إلى قتله، أما وحاله على غير ذلك فليحذروا هم الإسراف والكذب فيضلون ويهلكون.

ويمزج الرجل المؤمن نصحه لقومه بتخويفهم بأس الله وعذابه، وتذكيرهم بنعم الله عليهم التي

---

(١) التناد على وزن تفاعل ، إما من النداء حيث ينادي فيه الناس بعضهم بعضاً، أو من ندّ يندّ إذا ولى وأدبر، ويدل عليه البدل بعد ﴿ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ ﴾.

(٢) على نحو ما يقال : « إياك أعني واسمعي يا جارة » ومثله قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [سبأ : ٢٤].

تستحق شكرهم له لا كفرهم به، فقد حباهم الله بالملك الكبير، فهم لهذا ظاهرون على الناس غالبون لهم، ولكن شيئاً من هذا كلَّه لن يردَّ عنهم بأس الله وعذابه إن وقع بهم، وقابل فرعون نصح المؤمن وإخلاصه بالمراوغة والخداع، ويوهم قومه أنه الحريص على نفعهم ودفع الضر عنهم فلا يرى لهم غير الصواب ولا يسير بهم إلا في طريق السداد والفلاح [1].

ويستمسك الرجل المؤمن بالحق فُيذَكِّر قومه ـ في جهة ـ بمصارع المكذبين من الأمم السابقة، ويخوفهم ـ إن هم كذبوا بموسى أو هموا بقتله ـ أن يقع لهم مثل ما وقع للأحزاب من قبلهم، كقوم نوح وعاد وثمود والذين جاؤوا من بعدهم مِمَّن أخذهم الله بذنوبهم، وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون، ثم هو يخوفهم ـ في جهة أخرى بيوم آخر ينتظرهم وهو يوم القيامة وما فيه من أهوال يستغيث بعضهم بعضاً من شدتها ، ويتزاحمون في فرارهم للخلاص والنجاة، وما لهم في هذا اليوم خلاص من عذاب الله ولا مانع يمنعه عنهم، وهكذا يكون شأن الظالمين البعيدين عن هدي الله يخذلهم في هذا اليوم فلا يهديهم طريقاً إلى النجاة والخلاص من العذاب.

ويزيد الرجل المؤمن في وعظ قومه وتذكيرهم برسالة يوسف عليه السلام من قبل وقد جاء آباءهم بالآيات الواضحة فلم يزالوا في ريب من أمره وشك من صدقه، وينبههم ألا يكرروا ما فعل آباؤهم مع يوسف الذي صانعوه لسلطانه ولم يجهروا بتكذيبه، فلما توفاه الله أعلنوا استراحتهم منه ، وزعموا كذباً أن لن يجيئهم رسول من بعده، فكفروا بيوسف في حياته وأرسوا لخلفهم أساس التكذيب بمن يرسل من بعده، وهكذا ضلوا وأضلوا من بعدهم بإسرافهم في معاندة نبيهم وشكهم في صدقه، ومثل ضلالهم هذا يضل الله من يكون على شاكلتهم في الإسراف والارتياب.

وأخيراً يشتد الرجل المؤمن على قومه ناعياً عليهم إسرافهم وارتيابهم، وجلهم في آيات الله ودلائله دون حجة لديهم او برهان، ومهدداً لهم أن ذلك مورثٌ لغضب الله ومقته، وإعراض المؤمنين عنهم

(١) وهكذا يغش الطغاة أقوامهم ويضلونهم ويستمرئون الكذب عليهم ولا يسمحون برأي إلى جوار رأيهم أو أن يظن بهم الخطأ حتى وإن كذبهم الواقع وقادوا أممهم إلى الهلاك والدمار .

وغضبهم عليهم، ومنددا بما هم عليه من استعلاء وتجبر في الأرض، ومنذراً لهم بطمس قلوبهم والطبع عليها بكفرهم، وكذلك يطمس الله على قلوب أمثالهم ، قال تعالى :

﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ [الصف : ٥].

من فوائد الآيات :

١- التلطف في الدفاع عن الحق والجدال عنه بالحكمة والموعظة الحسنة وبخاصة أمام الطغاة والجبابرة، قال تعالى : ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ [النحل : ١٢٥].

٢- مشروعية مجاراة الخصم وافتراض سلامة قوله إنصافاً له وتوطئة لإظهار الحق وتحديد تبعة المعرض عنه.

٣- عطف الرجل المؤمن على قومه وحرصه على إيمانهم غاية الحرص بتقريبه الحق لهم على كل وجوهه.

٤- خداع الطغاة لأممهم وادعائهم الحرص عليهم والعمل لصالحهم وإن كذبهم واقعهم وسوء حالهم.

٥- لا بأس من مزج التهديد والوعيد بالنصح والموعظة الحسنة في منهج الدعوة إلى الله وإظهار الحق حين يقتضي الحال ذلك.

٦- لا خلاص من عذاب الله يوم القيامة للطغاة الضالين عن هدي الله في الدنيا.

٧- كفر الفراعنة قبل مجيء موسى برسالة يوسف عليهما السلام، وإن صانعوه في حياته لسلطانه عليهم.

٨- الجدل في آيات الله بالباطل يورث المقت والغضب من الله والمؤمنين كما يطبع على القلب ويطمسه.

١- وضحي معاني الكلمات القرآنية التالية : (مسرف ، بأس ، دأب ، التناد ، مرتاب ، يطبع) .

٢- من الرجل المؤمن؟ ولماذا كتم إيمانه؟ وكيف جرؤ على مناقشة فرعون وأعوانه؟

٣- من خلال مناصرة الرجل المؤمن للحق وأهله حددي قواعد المنهج القرآني في ذلك.

٤- لماذا يستبد الطغاة بأممهم ويرفضون دعوات الحق ؟ وما أهم وسائلهم ودعاواهم في رفض الحق وأهله؟

٥- وضحي وجه الإنصاف في مناقشة المؤمن لقومه ومناصحتهم؟ وماذا تعرفين من نظائر لذلك في القرآن ؟

٦- بماذا خوف الرجل المؤمن قومه ؟ وما السوابق التاريخية التي ذكرهم بها؟ وما شأن المكذبين بيوم القيامة ؟

٧- ما أسباب وراثة المقت والغضب؟ ولماذا يهلك في الآخرة من ضل في الدنيا ولم يهتد إلى الحق؟

٨- اذكري ثلاث فوائد أفدتها من هذا المقطع مع شرح واحدة منها .

كيد فرعون ووعظ الرجل المؤمن لقومه

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ
يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ
وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ
وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ
ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾
يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ
دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ
وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾
﴾ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى
ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ
لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ
أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ

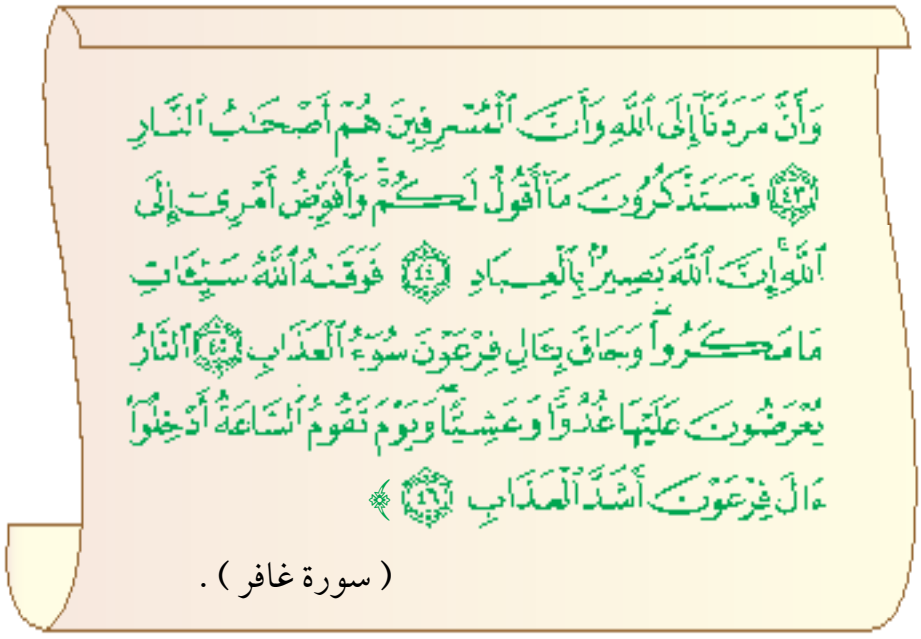
وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ
﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى
ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ
مَا مَكَرُوا۟ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ
يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟
ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾

(سورة غافر) .

معاني المفردات :

الكلمة	معناها
صرحاً	: الصرح القصر العالي البناء الرفيع العماد .
الأسباب	: جمع سبب وهو ما يتوصل إلى غيره ، والمراد الأبواب الموصلة إلى السماء .
فاطَّلع	: فأنظر وأرى وأبحث .
تباب	: خسران وهلاك ، كقوله تعالى : ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [المسد : ١] . وقوله تعالى : ﴿ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴾ [هود : ١٠١] .
متاع	: المتاع ما يتمتع به قليلاً ثم ينقطع ويزول .
سيئة	: السيئة ما يبغضه الله ويعاقب عليه .

أدعوكم إلى النجاة : المراد الدعوة إلى سبب النجاة وهو الإيمان بالعزيز الغفار كما جاء تفسيره في الآية بعد.

وتدعونني إلى النار : المراد الدعوة إلى ما يؤدي إلى النار وهو الشرك بالله والكفر به كما جاء تفسيره في الآية بعد.

لاجرم : جرم بمعنى حق وثبت، ولا لنفي ما زعموه من استجابة الشركاء وصحة عبادتهم ودعائهم.

دعوة : أي استجابة دعوة ، والمراد أنه لا يجيب من يدعوه.

مَرَدَّنا : مرجعنا ومصيرنا .

حاق : نزل بالشيء ولزمه وأحاط به .

يعرضون عليها : يظهرون له وتظهر لهم .

غدواً وعشياً : الغدو أول النهار ، والعشي آخره .

المعنى الإجمالي للآيات :

انتهى المقطع السابق بحصار المؤمن لفرعون الذي أصر على تكبره وتجبره ، ولكنه هنا يظهر الاستجابة للمؤمن خداعاً واستهزاءاً ، وإشعاراً بإنصاف المؤمن والتثبت مما يقول ، فيأمر وزيره هامان أن يبني له صرحاً عالياً يرقى فوقه للوصول إلى أبواب السماء وطرقها ؛ لينظر ويبحث عن إله موسى، وإن كان فرعون لا يعتقد مسبقاً صدق موسى فيما يدعو إليه من وجود إله غير فرعون الذي استخف قومه وأشاع فيهم قوله :

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ [القصص : ٣٨] .

وهكذا سخر فرعون ومكر ، وحسَّن الشيطان له عمله السيء فرآه حسناً ، وتمادى في طغيانه فحرم طريق الرشاد وانحرف عن الحق بخدعه وحيله الماكرة التي انتهت به إلى الهلاك والخسران.

وأمام تمادي فرعون في طغيانه ومراوغته واستهتاره يعيد الرجل المؤمن موعظته ونصحه، فيدعو قومه صراحة إلى الإيمان بالله وأن ذلك وحده هو طريق الخير والرشاد، ويبصرهم بحقارة شأن الدنيا وانقطاع ما فيها من متاع قليل بجوار متاع الآخرة الكثير ونعيمها الدائم المقيم، ويقرر الرجل المؤمن لقومه قاعدة الثواب والجزاء في دار القرار وما فيها من عدل الله وفضله، فقد اقتضت رحمته بعباده ألا يجازي على المعصية والسيئة إلا بمثلها في الآخرة ، أما الطاعة والحسنة من عباده المؤمنين والمؤمنات فيضاعفها لهم، ويكفر بها عن كثير من سيئاتهم، فإذا ما دخلوا جنته مبرئين من المعاصي؛ أعطاهم من رزقها الواسع بلا حساب ولا تقدير.

ويكرر الرجل المؤمن دعوته إياهم إلى الإيمان منكراً عليهم كيف يدعونه إلى النار وهو الذي يدعوهم إلى الجنة والنجاة من النار؟ وشتان بين الدعوتين ، غم دعوته لهم واضحة مستقيمة لأنه يدعوهم إلى الإيمان بالواحد الأحد الكامل القوة والقدرة والذي يملك غفران ذنوبهم ومجازاتهم عليها ، أما هم فيدعونه للكفر بالله والإشراك به ما ليس لهم به علم من معبودات باطلة لا حول لها ولا طول ، بل هي ـ دون شك ـ لا تجيب من يدعوها، ولا تنفعه في الدنيا والآخرة، كما لا شك في رجوعنا إلى الله في الآخرة، وأن المتجاوزين لحدودهم طغياناً وشركاً ، وتجبراً وتكبراً؛ هم أصحاب الجحيم وأهلها الذين لا يصلحون إلا لها ولا تصلح إلا لهم .

ويختم المؤمن وعظه لقومه في محضر فرعون وملئه مهدداً إياهم بأنهم سيذكرون ما قاله لهم عند نزول العذاب بهم، وسيعرفون صدقه يوم لا تنفعهم الذكرى ولا تفيدهم المعرفة، أما هو فقد أراح ضميره بقوله الحق الذي ألقاه حيث ينبغي ، وجاهد به في الله حق الجهاد [1] مطمئناً إلى ما جرى به قَدَرُه، فقد أسلم أمره لله وتوكل عليه، واستعصم به من سوئهم ومكرهم، فهو وحده الخبير بعباده والذي ينصر أولياءه.

ويحمل السياق القرآني ما كان بين فرعون وملئه وهذا الرجل المؤمن ـ بعد أن سجل دعوته في ذاكرة

(١) أخرج أبو داود عن أبي سعيد الخدري قال : قال ﷺ : « أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر » بذل المجهود ١٧/ ٢٧٦.

الزمان ـ ليخبرنا بنصرة الله له وحفظه من مكرهم السيء وما أرادوه به، وإحاطة فرعون وقومه بسيء العذاب في الدنيا والآخرة، فقد انتهت حياتهم بالإغراق، وهم في برزخهم يعذبون بالنار التي يعرضون عليها صباحاً ومساءاً [1] ويوم القيامة ينالون أشد العذاب وأعظمه نكالاً.

من فوائد الآيات :

١- خداع فرعون واستهزاؤه بنصح المؤمن من قومه انتهى به إلى الهلاك والخسران.

٢- إصرار المؤمن على دعوة قومه إلى الإيمان وتبصيرهم بحقارة الدنيا وهوانها إلى جوار الآخرة وما فيها.

٣- من رحمة الله بعباده عدله في مجازاتهم بسيئاتهم وإحسانه وفضله في مجازاتهم بحسناتهم.

٤- لا تستوي الدعوة إلى الله والنجاة من النار مع الدعوة إلى الشرك والخلود في النار .

٥- وضوح صفات الله تعالى كمالاً وجلالاً وافتقاد المعبودات من دونه لأية صفة معتبرة.

٦- ثقة المؤمن بربه واعتصامه به في مواجهة فرعون وقول الحق والعدل في محضره.

٧- نصرة الله لعبده المؤمن وحفظه من مكر الطغاة وإهلاك الله لهؤلاء في الدنيا والآخرة.

٨- عذاب القبر حق كما دلت عليه الآية الأخيرة من المقطع والأحاديث النبوية الصحيحة .

---

(١) استدل أهل السنة والجماعة على عذاب البرزخ في القبور بقوله تعالى : ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴾ وما أخرجه مسلم ـ وغيره ـ عن ابن عمر قال ﷺ : « إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ، يقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة » راجعي : صحيح مسلم ـ كتاب الجنة ـ باب عرض مقعد الميت ٤/ ٢١٩٩، تفسير القرآن العظيم ٤/ ٨١.

١- وضحي معاني الكلمات القرآنية التالية: (صرحا، الأسباب، فاطّلع، تباب، لاجرم، مردنا).

٢- ما موضوع هذا المقطع؟ ولماذا أمر فرعون ـ في الحقيقة ـ ببناء الصرح؟ وماذا انتهى إليه بخداعه ومكره؟

٣- ماذا صنع المؤمن بعد مراوغة فرعون ؟ وماذا أوضح من حقائق تتعلق بالدنيا والآخرة؟

٤- ما القاعدة الإلهية في جزاء العباد في الآخرة ؟ ولماذا صرح المؤمن بإيمانه ؟ وكيف أعلنهم بذلك.

٥- وازني بين دعوة المؤمن قومه إلى الإيمان ودعوتهم إياه إلى الكفر؟ وما صفات المعبود في كلتا الدعوتين ؟

٦- لماذا لا ينفع الطغاة والمكذبين إقرارهم بالحق في الآخرة؟ وماذا كان مصير كل من : المؤمن، فرعون وآله ؟

٧- ما معنى أن يحيق سوء العذاب بآل فرعون ؟ وما معنى عرضهم على النار؟ وهل يعذب مثل هؤلاء في قبورهم ؟

٨- اذكري ثلاث فوائد أفدتها من هذا المقطع مع شرح واحدة منها .

حجاج الكفار في النار والوعد بنصرة المؤمنين

﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي
ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا
لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ
﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ
قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ
جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾
قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟
بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ
﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا
وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ
وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى
ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى
وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ
حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ
وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾ ﴾ (سورة غافر) .

معـــاني الـمـفـــــردات :

الكلمـــة	مـعـنـــــاهـــا
يتحاجّون	: يتخاصمون ويتجادلون من المحاجة وهي المخاصمة والمجادلة.
الضعفاء	: المراد بهم الأتباع والمرؤوسون ، وهو مفسر بعد في قولهم ﴿ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا ﴾ جمع تابع كَخَدَم وخادم.
الذين استكـبروا	: المراد بهم الرؤساء والمتبوعون، وهم السادة أولو الرأي الذين رفضوا الانصياع للأنبياء والرسل.
مغـنون عنا نصيباً	: متحملون عنا قسطاً وقدراً.
لخـــزنـة جهـــنم	: جمع خازن وهم حراس جهنم والقائمون على تعذيب أهلها.
الأشهاد	: جمع شهيد بمعنى شاهد ، والمراد كل من يشهد في الآخرة كالملائكة والنبيين والمؤمنين.
اللعنة	: الإبعاد والطرد من رحمة الله.
الهُدَى	: المراد كل ما يُهْتَدَى به مما آتاه الله موسى عليه السلام ، كالمعجزات والتوراة التي فيها هدى ونور .
الألباب	: جمع لب وهو العقل الصحيح .
وعد اللّـه	: المراد بوعد الله إعلاء كلمة الدين ونصرة رسوله على أعدائـه .
العشي والإبـكـار	: آخر النهار إلى أول الليل، وآخر الليل إلى أول النهار.

المعنى الإجمالي للآيات :

يعرض هذا المقطع صورة الكفار ـ ومنهم فرعون وملؤه ـ وهم في سوء العذاب وأشده بالآخرة حيث يتخاصمون ويجادل بعضهم بعضاً، يقول المستضعفون منهم للذين ذلوا لهم وتعالوا على الإيمان وتكبروا على الأنبياء: إنا أطعناكم واتبعناكم فيما دعوتمونا إليه من الكفر والضلال، ولولاكم لكنا مؤمنين، فهلا حملتم عنا بعضاً مما نحن فيه بسببكم؟ ، ولكن المستكبرين يحجُّونهم في ضيق وتبرم : كفانا ما حملنا من العذاب والنكال، وكلنا في هذا العذاب والكرب سواء فما سؤالكم لنا وقد قضى الله بذلك، فلا مجال لتغيير قضائه، وما من أحد يحمل وزر غيره أو يخفف شيئاً من حكم الله فيه.

وعند إدراك هؤلاء وأولئك لهذا التقرير الحق؛ يتوجهون إلى خدام جهنم والقائمين عليها مستغيثين بهم أن يسألوا ربهم تخفيف العذاب عنهم ولو ليوم واحد، ولكن الخزنة لا يردون عليهم إلا بما يزيدهم عذاباً وهواناً، ويذكرونهم بسبب عذابهم في هذا السؤال المقرع: أو ما جاءتكم الرسل بالآيات والحجج الدالة على توحيد الله؟! ويجيب المعذبون: بلى، ولكنا كذبناهم، فتزيدهم الخزنة تهكماً وسخرية ويسلمونهم إلى اليأس بهذا القول: إنا لن ندعو لمن كفر بالله وكذب رسله، فادعوا أنتم لأنفسكم ما وسعكم الدعاء فلن يغير من حالكم شيئاً، وما لدعائكم وأمثالكم من الكفار من جواب عند الله إلا الإهمال والازدراء.

هكذا كانت النهاية للباطل وأهله : العذاب في الدنيا والآخرة، أما الحق وأهله من النبيين والمؤمنين فلهم الوعد من الله بالنصر في الحياة الدنيا، ووعد الله قاطع منجز مهما بدا من غير ذلك في ظاهر الأمر، كما قال تعالى : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١) [الروم : ٤٧] .

---

(١) ولئن كان للباطل ـ في المقاييس البشرية ـ الظهور والعلو زمناً أو ساعة ، فدولة الحق ـ في المقياس الإلهي ـ قائمة أبداً، وباقية إلى قيام الساعة، ولا يقدح في ذلك ما قد ينفق للكفرة من صور الغلبة والنصر امتحاناً للمؤمنين ؛ إذ العبرة بالعواقب وغالب الأمر ، يقول سيد قطب رحمه الله : قد ينظر إلى إلقاء إبراهيم عليه السلام في النار على أنه هزيمة ، ولكنه بمنطق العقيدة ورسوخها في نفوس أصحابها هو قمة النصر ، والمؤمنون المضطهدون والشهداء المضحون بأرواحهم إنما هم ينتصرون في الحقيقة، وترسخ عقائدهم في النفوس بما تهتز من حبها لهم وحد بها عليهم ، وهناك اعتبار تحسن مراعاته في ذلك وهو أن وعد الله قائم لرسله وللذين آمنوا ، ولا بد أن توجد حقيقة الإيمان في القلوب التي ينطبق هذا الوعد عليها ، وقد أجاب عن هذا كثير من المفسرين راجعي تفسير القرآن العظيم ٤/ ٨٣ ، في ظلال القرآن ٥/ ٨٥، ٣٠٨٦.

كما أن نصر الله لهم في الآخرة واقع لا محالة عند نهوض الشهود وقيامهم بشهاداتهم في يوم يندحر فيه الظلمة من المشركين والكفار، ولا تنفعهم معاذيرهم الباطلة، بل يبوؤن بلعنة الله لهم وطردهم من رحمته ويكون نصيبهم من الآخرة العذاب الأليم والقرار في دار الجحيم.

ويذكر السياق في آخر هذا المقطع لذوي العقول السليمة والفائدة الصحيحة صورة من صور نصرة للمؤمنين في الدنيا، فقد أعطى موسى عليه السلام من المعجزات والدلائل ما يهدي الناس إلى الله، وأورث قومه الكتاب الذي أنزله عليه ليتذكر ذلك ، ويعيه من يريد النصر، والرفعة في هذه الدنيا وليتزود لهذا النصر بزاده ووسائله التي من أهمها الصبر، ومن ثَمَّ يأمر الله رسوله ﷺ بهذا الصبر حتى يتحقق له ما وعده الله به من إعلاء الكلمة والنصرة على أعدائه، وأن يداوم على استغفار ربه وتسبيحه آناء الليل وأطراف النهار.

من فوائد الآيات :

١- استحقاق المستضعفين للنار مثل للمستكبرين ، لا يحمل عنهم من عذابها رؤساؤهم الذين اتبعوهم وذلوا لهم.

٢- من انخدع في الدنيا بأوهام الطواغيت فلا ينتظر معونتهم له أو تغيير حكم الله كما قرر المستكبرون.

٣- لا استجابة لدعاء المعذبين من أهل النار في الآخرة، ولا دعاء أوشفاعة لهم من غيرهم.

٤- هزيمة الباطل وأهله، ونصرة الحق وأهله أبداً : ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ﴾ [الروم : ٦] .

٥- انقطاع معاذير الظلمة من المشركين والكفار في الآخرة ، وطردهم من رحمة الله ، واستقرارهم في دار الجحيم .

٦- من وسائل النصر وأسلحته الصبر ، ومن زاده مداومة الاستغفار وتسبيح الله.

١- وضحي معاني الكلمات القرآنية التالية :(يتحاجون ، الضعفاء ، الأشهاد ، اللعنة ، الألباب).

٢- متى يختصم الكفار والمجادلون ؟ وأين يكون ذلك ؟ ولمن تكون الغلبة في الجدال؟ ولماذا؟

٣- ممن يطلب الكفار الدعاء والاستشفاع؟ وبماذا أجيب هؤلاء؟ وما أثر الإجابة عليهم؟

٤- « قررت الآيات في مواضع عدة عدم تبديل حكم الله في العباد » حددي هذه المواضع، وصاحب كل قول .

٥- « أكدت الآيات نصرة الله لرسله وللمؤمنين » كيف تفسرين ما يقع في الدنيا من عكس ذلك؟

٦- « ذكرت الآيات صورة من نصر الله للمؤمنين » ما هذه الصورة؟ وما عُدَّة المؤمنين وزادهم للنصر؟

٧- اذكري فائدتين أفدتهما من هذا المقطع واشرحيهما .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ
ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ
مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلۡبَصِيرُ ٥٦ لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ
خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٧
وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ قَلِيلٗا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ٥٨
إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ
لَا يُؤۡمِنُونَ ٥٩ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ
دَاخِرِينَ ٦٠ ﴾

(سورة غافر) .

معاني المفردات :

الكلمة	معناها
كِبْرٌ	: الاستعظام عن اتباع الحق ، والاحتقار لمن جاء به.
ما هم ببالغيه	: ليس بحاصل لهم ما يرومونه من الاستعلاء على الحق ، أو هم أصغر من أن يبلغوا الكبر في صدورهم .
فاستعذ	: من الاستعاذة وهي الالتجاء والتحصن .
ادعوني	: اعبدوني ، أو اسألوني ، وكلاهما تدل عليه بقية الآية ، وقول الرسول ﷺ « الدعاء هو العبادة » [1] .
داخرين	: صاغرين أذلاء .

المعنى الإجمالي للآيات :

يكشف هذا المقطع ـ بعد توجيه الرسول ﷺ إلى الصبر على تكذيب المشركين وإيذائهم ـ عن سبب جدال المشركين في آيات الله بالباطل ودون حجة لديهم أو برهان، إنه الكبر والتعاظم الذي ملأ عليهم صدورهم ومنعهم من التسليم بالحق، وهم أصغر وأضأل من هذا الكبر المصطنع الذي لن يبلغوا به ما يريدون من كبرهم وتعاليهم ؛ ولهذا يوجه الله رسوله ﷺ إلى الاستعاذة به من شرور كبرهم وإثم جدلهم الذي لا يغيب عن سمع الله وبصره.

وفي معرض الإشارة إلى كبْر المجادلين تكشف الآيات عن ضآلة الناس، وأن خلقهم جميعاً لأَصْغَرُ وَأَهْونُ من خلق هذا الكون الكبير وما فيه من سماوات وأرضين ؛ وتلك حقيقة ظاهرة وإن جهلها أكثر الناس، ولكنهم يتصاغرون عندما يعلمون حقيقة خلقهم ويزداد علمهم بوقوفهم على جوانب من عظمة

(١) أخرجه أبو داود ـ وغيره ـ عن النعمان بن بشير ، راجعي بذل المجهود ٧/ ٣٢٤ كتاب الوتر باب الدعاء.

هذا الكون وخلقه، فما يكون أن يستوي حال هؤلاء مع غيرهم ممن جهلوا هذه الحقيقة أو عموا عنها تماماً، كما لا يستوي المحسنون لأعمالهم من المؤمنين الصالحين مع غيرهم من المسيئين لأعمالهم بجهلهم لحقيقة أنفسهم وغفلتهم عن آيات الله وحججه وقلة تذكرهم لها، ولو تذكروا لعرفوا وما جادلوا في آيات الله ، أو أنكروا بعثه لهم وهو حق لا شك فيه وواقع لا محيد عنه، وإن كذب به أكثر الناس لقصور أفهامهم وكبرهم.

وهنا يوجه الله عباده إلى ما يقي صدروهم من هذا الكبر، وينأى بعقولهم عن الجدل الباطل ، ويوجههم إلى دعائه وإخلاص العبادة له، ويعلن لهم استجابته لدعائهم وقبول عبادتهم، بل إنه ينذر المستكبرين عن دعائه المستنكفين عن عبوديتهم له بالذل والصَّغار في جهنم وبئس القرار .

من فوائد الآيات :

١- سبب جدال المشركين في آيات الله كبرهم وجحودهم وظلمهم ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [النمل : ١٤].

٢- استواء الخلق أمام القدرة الإلهية ، وإن كان بعضه كالسماوات والأرض أعظم من بعض في الإدراك البشري.

٣- لا يستوي العلم بآيات اللّه ودلائله مع الجهل بهما ، كما لا يستوي البصير مع الأعمى ، أو المحسن مع المسيء.

٤- دعاء الله وعبادته هما أنجع الأدوية للكبر، والمعرض عنهما مستوجب للذلة والصَّغار في جهنم.

١- وضحي معاني الكلمات القرآنية التالية : (كبر ، استعذ ، ادعونـي ، داخرين) .

٢- ما موضع هذا المقطع ؟ وما السبب الحقيقي لجدل المشركين في آيات الله ؟

٣- وضحي كيف يكون خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس؟ وما المقصود بعدم مساواة الأعمى للبصير ؟

٤- ما العـلاج الناجح للكـبر والجحود ؟ وما المـراد بدعـاء الله الذي يستجيب له ؟ وبـماذا هدد المسـتكبرين عن عبادتـه ؟

٥- اختاري فائدتين أفدتهما من هذا المقطع واشرحيهما .

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟
فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ
وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ
ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ
﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ
﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ
بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ
ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ
مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ۞ قُلْ
إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ
ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾
هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ

يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾

(سورة غافر) .

معاني المفردات :

الكلمة	معناها
لتسكنوا فيه	: السكون يقابل الحركة ، والمقصود النوم والراحة .
مبصراً	: أي مضيئاً ، لإبصار الأشياء فيه .
تؤفكون	: تنقلبون عن عبادته وتنصرفون عن توحيده، ومنه الإفك: الإخبار بالكذب وغير الحق.
يجحدون	: الجحود : التعالي والإنكار مع العلم ، كما قال تعالى : ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ﴾ [النمل : ١٤] .
قراراً	: موضع استقرار وثبات لحياة الإنسان.
تبارك	: عظمت بركته وكثرت نعمه وخيراته.
مخلِصين	: اسم الفاعل من الإخلاص ، وهو في العبادة تمحيضها لله ، وإفراده بها ، وتصفيتها من الرياء .

أُسْلِمَ : أنقاد وأخضع.

خلقكم من تراب : أي خلق أباكم آدم منه، أو أصل خلقكم منه.

نطفة : نقطة مائية تخرج من الصلب والترائب.

عَلَقَة : قطعة دم جامدة مكونة من ماءي الرجل والمرأة وعالقة بجدار الرحم .

طفلا : أي أطفالاً، أفرده لكونه اسم جنس أو على معنى يخرج كل واحد منكم .

أشدكم : غاية عقلكم ومنتهى شبابكم وقوتكم .

شيوخاً : كباراً ضعافاً بعد القوة والشباب، واحده شيخ وهو مَنْ جاوز الأربعين من عمره.

أجلاً مسمى : وقتاً محدوداً ومقدراً معلوماً لا تقدم عليه أو تأخر ، والمراد وقت الموت أو يوم القيامة .

المعنى الإجمالي للآيات :

يشرع السياق في ذكر بعض من نعم الله تعالى على عباده ، وآياته الدالة عليه والمستوجبة شكرهم وعدم استكبارهم ، وجعله الليل سكناً لهم يستريحون من الحركة وطلب المعايش ، والنهارَ مضيئاً ليبصروا فيه حوائجهم ويحصلوا مكاسبهم وهذا وذاك من فضل الله ونعمه الكثيرة عليهم ، التي يجحدها أكثر الناس ولا يدركون كمال قدرته تعالى وعظمته في ربوبيته وإنعامه .

فهو الله الذي خلق الليل والنهار وكل شيء من أجلهم ، وهو الإله الواحد الأحد، فكيف يصرفون عنه وينقلبون عن عبادته والإقرار بوحدانيته؟ وهكذا ينقلب الإيمان والإقرار بالوحدانية ـ في كل زمان ومكان ـ مَن تكبر وجحد آيات الله وأنكر الحق الواضح وضوح الشمس في رابعة النهار .

ومن هذه النعم والآيات ، جعل الله الأرض قراراً لحياة الإنسان ، والسماء بناء محكماً سقفاً محفوظاً لينعم بها مكاناً كما نعم بتعاقب الليل والنهار زماناً ، وفوق هذا النعم والآيات في الآفاق والكون ؛ يشير

السياق ـ في إجمال ـ على نعم الله ودلائله في أنفس عباده حيث خلقهم فأحسن صورهم، وأمدهم بالرزق الطيب من المطاعم والمشارب، فهل يفعل هذا كله غير الله رب العالمين ؟ تباركت نعمة وخيراته ، وتعاظمت فضائله وآلاؤه على خلقه وجميع العالمين، فسبحانه هو الحي بذاته الواحد الأحد الذي لا إله غيره، فله وحده العبادة الخالصة والحمد التام، إذ هو مالك العالمين ومربيهم ، المنعوت بكمال الإنعام عليهم.

ومع هذه الآيات والنعم يجيء توجيه الله لرسوله ﷺ أن يعلن لهؤلاء الذين يصرفون عن آيات الله ويجحدون نعمه أنه منهي عن عبادة ما يعبدون من دون الله، وأنه صدق بما جاءه من ربه من الدلائل والبينات في ذلك، كما يعلن لهم أنه مأمور بإعلان الحق وإخلاص الإسلام لرب العالمين.

ويختم سياق هذا المقطع بتفصيل آية الخلق في الإنسان التي أجملها من قبل ، وهي آية تكشف عن كثير من وجوه الإبداع والقدرة الإلهية في أطوار الخلق ومراحله التي وقف الإنسان على بعض المعارف فيها ، ووفقه الله وهداه لاكتشاف بعض أسرارها، فقد أنشأه الله بداية من التراب الذي هو أصل الحياة على الأرض ، ثم كثَّره بطريق التزاوج والمرور بأدواره الجنينية في رحم أمه فطوراً نطفة يسيرة وطوراً آخر علقة صغيرة، إلى أن يستكمل خلقه فينشئه الله نشأة أخرى ويخرجه طفلاً وليداً لا يلبث أن يستكمل قوته وشبابه ، فمنه من يصل إلى شيخوخته ومنه من يموت قبلها، ولكنهم بالغون أجلهم المسمى الذي لا تقدم لهم عليه ولا تأخر ، وفي متابعة خلق الإنسان وتدبر مراحله ما يستوقف النظر ويخضع العقول، ولعل الإنسان- بعد ذلك ـ يَعِي ويدرك أن لا دور له في شيء من ذلك ، وأن حقيقة الخلق كحقيقة الإحياء والإماتة كلها لله وحده الذي يحي ويميت، ويقضي بما شاء وأراد من ذلك، وما هو إلا أن يريد الله ويقضي فيكون ـ بقدرته ـ ما قضى وأراد ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون : ١٤].

وفي آيات هذا المقطع وسابقه إشارة إلى دليلين مهمين من أدلة البعث يكثر ذكرهما في القرآن الكريم :

أحدهما : خلق السموات والأرض وما بينهما ﴿ لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ ﴾ .

الثاني : النشأة الأولى للإنسان بأطوارها المختلفة : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ . . . ﴾ .

إلى قوله : ﴿ وَلِتَبۡلُغُوٓاْ أَجَلٗا مُّسَمّٗى وَلَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٦٧ هُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ . . . ﴾ .

من فوائد الآيات :

١- من آيات الله في الآفاق ونعمه على الإنسان تعاقب الليل والنهار واستقرار الأرض وتماسك السماء.

٢- ومن آيات الله ودلائله في الأنفس إحسان خلق الإنسان وعناية الله به في أدوار حياته ومراحلها.

٣- ذكر القرآن لإحسان صورة البشر مع خلق الكون العظيم يوحي بالإعجاز في صنعهما والدقة في علاقتهما.

٤- زيادة الإيمان باهتداء الإنسان واكتشافه لبعض سنن الله في خلقه المشار إليها في كتابه.

١- وضحي معاني الكلمات القرآنية التالية : (تؤفكون ، يجحدون ، قراراً ، تبارك ، نطفة ، علقة ، شيوخاً) .

٢- ما موضوع هذا المقطع ؟ وما وجه النعمة في هذه الآيات : الليل ، النهار ، الأرض ، المساء ، إحسان صورة الإنسان ، الإمداد بالرزق؟

٣- وضحي مراحل خلق الإنسان في تسلسلها حتى أجله المسمى، وبيني بماذا عبر القرآن الكريم عن كل مرحلة منها ؟

٤- اختاري فائدتين أفدتهما من هذا المقطع واشرحيهما .

مشهد من جزاء المجادلين في الآخرة وخسرانهم

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ
يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا
بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ
﴿٧٠﴾ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾
فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ
مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۖ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ
نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾
ذَٰلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ
تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ
مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا
نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ
وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ
بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ
هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ (سورة غافر) .

معـــاني الـمـفـــــردات :

الكلمـــة	مـعـنـــاهـــا
الأغلال	: جمع غُلّ، وهو القيد الذي يكون في العنق .
السلاسل	: واحدة سلسلة وهي الحق المتصل من حديد ونحوه .
يسحبون	: السحب جر الشيء في عنف ولو على وجهه .
الحميم	: الماء الشديد الحرارة .
يسجرون	: يحرقون في النار التي يكونون وقوداً لها ، مأخوذ من سَجْر التنور أي إيقاده وملؤه بالوقود .
ضلّوا عنا	: غابوا وفقدناهم، كقولك ضل الماء في اللبن أي خفي فيه .
تفرحون ، وتمرحون	: الفرح : السرور وانبساط النفس، والمرح: السرور في لهو وخيلاء .
مثوى	: المثوى : المقر والمقام. أصله من ثوى بالمكان إذا أقام فيه .
قصصنا	: أنبأنا وأخبرنا من قصَّ الثر أي تتبع نبأ الشيء وخبره .
أمـــر اللّـه	: أي الوعد بعذابهم ووقوعه إما في الدنيا أو الآخرة .
المبطلون	: المجادلون بالباطل في آيات الله والمفترون على الله الكذب .

المعنى الإجمالي للآيات :

عرض المقطع السابق لآيات الله في الكون والنفس، وموجبة للإيمان به والتصديق برسله وكتبه المنزلة، ولكن المجادلين لم يؤمنوا ولم يصدقوا ، بل كان موقفهم مدعاة للتعجب والإنكار، كما حكى الله وعجب من أحوالهم كيف يجادلون بالباطل في هذه الآيات ، وتصرف عقولهم عما فيها من الهدى إلى الضلال ؟ ،

إنهم بهذا الجدال الباطل قد كذبوا بما نزل على محمد ﷺ ، بل بما أرسلت به الرسل جميعا؛ إذ أنهم بعثوا بعقيدة واحدة ورسالة واحدة [1]، ولهذا تهددهم الله بما سوف يعلمونه ويذوقونه من التحقير والعذاب الأليم .

ويفصل سياق الآيات تحقيرهم وعذابهم في عاقبتهم ، حين تُغلَّ أعناقهم ، يقيدون بالسلاسل التي يسحبون بها كما تُسحَب الأنعام ، ويُجَرُّون على وجوههم إلى الحميم الحار ، فإذا ما صدروا عنه انتهى بهم المطاف إلى النار التي يسجرون فيها ليكونوا من وقودها، ثم يوبخون ويقرعون ـ وهم على هذا الحال ـ بما يقال لهم : أين الشركاء الذين كنتم تعبدونهم من دون الله ؟ فلا يجيبون إلا بما يجيب به المخدوع وهو يائس حسير : لقد غابوا عنا وخذلونا في هذا الموقف العصيب، ويضيفون مستدركين : بل لم نكن نعبد ـ في الحقيقة ـ شيئاً، لقد كانت كلها أوهاماً وأباطيل، وهكذا كما أضل الله هؤلاء ، يضل سائر الكافرين بسبب إعراضهم عن الحق.

ثم يواجه هؤلاء بتوبيخ آخر يُكشَف لهم فيه عن سبب عذابهم ، إنه سرورهم بانصرافهم عن توحيد الله، وفرحهم بمعاصيهم وآثامهم ، واستخفافهم بما دُعوا إليه من الحق والتوحيد تكبراً واستعلاء، مما استحقوا به دخلوهم جهنم من أبوابها العديدة واستقرارهم وخلودهم فيها ، وبئست لهم جهنم منزلاً وداراً مع المتكبرين أمثالهم المعرضين عن آيات الله والمجادلين فيها بغير الحق.

هذا ما كان من تفصيل جزاء المجادلين بالباطل في آيات الله ، أما توجيه الله لرسوله ﷺ في مواجهة هؤلاء وجدلهم فهو وصيته له بالصبر والثقة بوعد الله الحق في نصرته ، وإنزال العذاب والهوان بهؤلاء سواء أنزله الله بهم في الدنيا وأرى رسوله شيئاً من ذلك في حياته ، أم قبضه الله إليه قبل إنزاله بهم؛ لأن الأمر كله لله والخلق كلهم رادعون إليه مستوفون جزاءهم عنده.

وفي معرض توجيه الله بالصبر لرسوله ﷺ يواسيه ويسليه بإطلاعه ـ في إجمال ـ على قصة الحق والباطل من قبله ، وأنه لم يكن أول من وُجه بالتكذيب والاستكبار ، فقد بعث الله من قبله رسلاً أنبأنا

---

(١) كقوله تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ . . . ﴾ [الشورى : ١٣] .

عن بعضهم في القرآن ولم ينبئنا عن كثير منهم ، وكلهم طولبوا بالآيات والخوارق ووجهوا بالتكذيب والتكبر ، والجدل في آياتهم التي لا دخل لهم في حدوثها أ نوعها ، وإنما هي مشيئة الله وإذنه وتقديره ، فإذا أنزل الآيات وكذب بها المطالبون ؛ كان قضاء الله عليهم بالحق ، وكان عدل الله فيهم أن يهلك المبطلين بتكذيبهم وجدلهم فيما آتاهم الله من آياته .

من فوائد الآيات :

١- في تكذيب المجادلين بالباطل للرسول ﷺ وما أرسل به تكذيب للرسل جميعاً عليهم السلام .

٢- إهانة المتكبرين والمجادلين بالباطل في الآخرة قبل استقرارهم في النار بصنوف من الإهانات الفعلية والقولية .

٣- لجهنم أبواب عديدة ذكرها الله في قوله تعالى : ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾ [الحجر : ٤٤] .

٤- تدرع الداعية بالصبر في دعوته وعدم تمنيه ، أو تعليق قلبه باستعجال عذاب اللّه للمعرضين عن دعوتـه .

٥- ما ذكره الله من الرسل في القرآن قليل من كثير، وقد بلغ عددهم خمسة عشر وثلاث مئة رسولاً [١] .

٦- نصرة الله لرسله وللمؤمنين وإهلاكـه للمتكـبرين المجادلين من قضائه الحق وحكمه العدل بين العباد .

(١) روي هذا عن أبي ذر مرفوعاً وصححه ابن حبان ، راجعي فتح الباري ٦/ ٣١٦ ، الفتح الرباني ٢٠/ ٣٥ .

١- وضحي معاني الكلمات القرآنية التالية : (الأغلال ، الحميم ، يسجرون ، ضلوا عنا ، مثوى ، المبطلون) .

٢- ما موضوع هذا المقطع ؟ ولماذا يكون التكذيب بالقرآن تكذيباً لكل ما أنزل الله ؟ وما دليل هذا القول؟

٣- صوري بأسلوبكِ مظاهر إهانة المجادلين والمتكبرين في الآخرة موضحة لم لا تنفعهم معبوداتهم وإقرارهم .

٤- بماذا وصى الله رسوله ﷺ وسلاه في مواجهة المكذبين وجدلهم؟ وماذا كان قضاء الله فيهم؟

٥- اذكري ثلاث فوائد أفدتها من هذا المقطع ، اشرحي واحدة منها .

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ
لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا
مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى
ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ
ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ
قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ
﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم
مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا
رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ
مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ
ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾

(سورة غافر) .

معـــاني الـمـفـــــردات :

الكلمـــة	مـعـنـــــاهـــا
الأنعام	: جمع نعم وهي الإبل والبقر والغنم وسائر ما يرعى مما يشبهها .
حاجة في صدروكم :	المراد أية حاجة من مثل ما ذكر أو لم يذكر، كحمل الأثقال من بلد إلى بلد فهو تعميم بعد تخصيص.
الفُلْك	: بضم فائه وسكـون عينـه : السفن الجاريـة والسابحـة على الماء ، يطلق على الواحد والجمع .
عاقبة	: عاقبـة كل شيء آخره ، والمراد نهايتهم وخاتمتهم .
ما أغنى عنهم	: ما نفعهم ولا رد عنهم شيئاً من بأس الله .
من العلم	: المراد إما علمهم الدنيوي الظاهري كقوله تعالى : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [الروم : ٧] . أو ما اعتقدوه علمًا من شبهاتهم وخرافاتهم كقولهم : ﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا ﴾ [النعام : ١٤٨] ﴿ وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾ [الجاثية : ٢٤] .
حاق بهم	: نزل بهم ، وأحاطهم من كل جانب.
بأسنا	: أي عذابنا ونكالنا .
ســـنة الله	: السنة : الطريقة المتبعة التي لا تتخلف ، والمراد حكم الله.
خلت	: مضت وسلفت من قبل .

المعنى الإجمالي للآيات :

في هذا المقطع الأخير من السورة يوجه الله طلاب الآيات إلى ما بين أيديهم من هذه الآيات وهم عنها غافلون ، ويوقفهم على واحدة منها لو تدبروها وعقلوها لكفتهم آية شاهدة بالألوهية ، فهذه الأنعام التي خلقها الله من أجلهم وسخرها في وجوه منافعهم، فبعضها يركبه الإنسان ويرتحل به، ومن لحومها وألبانها يأكل الإنسان ويدخر قوتاً له وزاداً ، ثم له منافع أخرى فمن أوبارها وأشعارها وأصوافها وجلودها يتخذ لنفسه ولغيره السكن والأثاث والثياب والأمتعة، وغير ذلك من المنافع والحاجات التي تنشغل بها صدورهم كحمل أثقالهم إلى بلد لم يكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس ثم هم فوق ذلك وقبله يحملون عليها في البر بالجملة كما يحمل الناس على السفن في البحر كذلك بتسخير الله وقدرته ، فهذه كتلك آية ونعمة من آيات الله ونعمه التي يريها خلقه عياناً، فأي هذه الآيات ينكرها هؤلاء وكلها ظاهرة بينة ؟!

ومن ثَمَّ يجيء تهديد الله ووعيده للمجادلين المتكبرين أن ينزل بهم مثل ما أنزله بمَن قبلهم ، ويرشدهم إلى السير في الأرض للتفكير والاعتبار في عاقبة هؤلاء ليحذروا مثل عاقبتهم ، وقد كانوا بالمقارنة إليهم أكثر عدداً ، وأشد قوة وأرسخ بنياناً وآثاراً ، فما نفعهم شيء من ذلك ولم يمنعهم شيء من ذلك ولم يمنعهم من عذاب الله قوة ولا كثرة ولا عمارة مما كانوا يعتزون به ويغترون ، فما إن جاءتهم رسلهم بالأدلة الواضحة حتى استخفوا بها واستغنوا بما عندهم من علم ظاهري ، واستهزأوا بمن يذكرهم بما رواه من العلم الحقيقي ويحذرهم بأس الله إذا جاءهم وهم مفتونون بعلمهم حتى أحاط بهم العذاب.

ويطلعنا السياق في ختام السورة على جانب من طباع المجادلين المتكبرين وسنة الله الماضية فيهم وفي أمثالهم، وذلك أن هؤلاء لما عاينوا عذاب الله نزل بهم بأسه خذلهم عملهم وأقروا بوحدانية الله وكفروا بشركائهم ومعبوداتهم الباطلة كما قال فرعون حين أدركه الغرق :

﴿ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس : ٩٠] .

ولكن هيهات أن تقال عثراتهم أو ينفعهم إيمانهم في هذا الوقت فقد فات الأوان وجرت عليهم سنة

الله التي أمضاها في عباده ، ألا يقبل توبة فزع يقع عليه عقاب الله فيضطر إليه وقد كان بابها مفتوحاً أمامه طول عمره فيجادل ويتكبر :

﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾

[النساء : ١٧-١٨] .

وسنة الله الثابتة لا تتخلف ولا تحيد وحينذاك يكون الهلاك كل الهلاك والخسارة كل الخسارة لهؤلاء الكافرين فلا يفيدهم إذعان وتسليم ولا ينفعهم فزع ولا استغاثة ، وليس لهم ولأمثالهم إلا ما أجاب الله به فرعون : ﴿ آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [يونس : ٩١] ؟

من فوائد الآيات :

١- ظهور نعم الله وآياته ودنوها من خلقه لا ينكرها غير المتكبرين منهم والمجادلين فيها بالباطل .

٢- من نعم الله ذات المنافع الكثيرة والعظيمة الأنعام في البر والسفائن في البحر .

٣- من طباع المتكبرين المجادلين الاعتراف بالحق والإقرار بالإيمان عند معاينة العذاب وبعد فوات الأوان .

٤- قبول الله لتوبة المقبلين عليه في فسحة من أعمارهم وإهلاكه للمضطرين منهم إليه فزعاً من عذابه.

٥- من سنة الله إهلاك المكذبين بالرسل المجادلين في آياته بالباطل حيث لا ينفعهم ما لديهم من قوة أو علم .

١- وضحي معاني الكلمات القرآنية التالية : (الفُلك ، عاقبة ، آثارا ، سنة الله ، خلت) .

٢- ما موضوع هذا المقطع؟ وما المراد بالأنعام؟ وما وجوه منافعها؟ وما وجه كونها نعمة وآية؟

٣- بماذا حذر الله المجادلين في آياته؟ وما وجه العظة والاعتبار بمن سبقهم ؟ ولم لم ينفع السابقين كسبهم ؟

٤- ما المراد بالعلم الذي فرح به المجادلون ؟ وما بأس الله ؟ ولِمَ لا ينفع المجادلين إيمانهم بالله عند رؤيتهم بأسه ؟

٥- اذكري فائدتين أفدتهما من هذا المقطع واشرحيهما .

بين يدي السورة

(أ) اسم السورة :

تعرف هذه السورة بسورة « فصلت » أخذاً من تفصيل آيات الكتاب الكريم الموصوفة به في الآيتين الثالثة والرابعة والأربعين من السورة كما تسمى بـ « السجدة » أو « حم السجدة » لاشتمالها ـ دون بقية آل حم ـ على إحدى سجدات التلاوة عند قوله تعالى : ﴿ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴾ بآخر الآية الثامنة والثلاثين [1].

ربما سميت بسورة الأقوات أو المصابيح لورود تقدير الأقوات في الآية العاشرة منها وتزيين السماء بالمصابيح في الآية الثانية عشر منها [2] .

(ب) تنزلات السورة :

نزلت سورة فصلت بعد سورة غافر وتأتي في المرتبة الواحدة والستين من حيث نزول سور القرآن الكريم، كما يأتي ترتيبها في المصحف الشريف من حيث التوقيف والتلاوة في المرتبة الحادية والأربعين.

والسورة مكية في قول الجميع كما نقله القرطبي، يدل عليه ما أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس وابن الزبير رضي الله عنهم أنها نزلت بمكة ، وما نقل عن ابن عباس كذلك من أن نزول آل حم السبع جميعاً كان بمكة [3] ، وعدد آيات السورة أربع وخمسون آية [4] .

---

(١) راجعي الكافي في فقه الإمام أحمد ١/ ١٦٠ .

(٢) راجعي : فتح القدير ٤/ ٤٠٥ ، روح المعاني ٢٤/ ٩٤.

(٣) راجعي فتح القدير ٤/ ٤٧٩ ، ٥٠٤ .

(٤) راجعي : التبصرة ص ٤٩٥ ، غيث النفع ص ٣٤٢ ، روح المعاني ٢٤/ ٩٤.

(ج) فضائل السورة :

ومن الآثار المروية في فضائل هذه السورة ـ مع ما ذكرناه من قبل [1] ـ ما أخرجه البيهقي في الشعب عن الخليل بن مرة أن الرسول ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ تبارك وحم السجدة [2] .

(د) أهم موضوعات السورة :

تجمع هذه السورة موضوعات العقيدة الكبرى توحيد الألوهية ، والحياة الآخرة ، وصدق الوحي والرسول ﷺ الذي جاءهم به بالإضافة إلى موضوع الدعوة ومنهج الدعاة الأمثل وما ينبغي أن يتخلقوا به في دعوتهم ، وكل ما في السورة يجري في سياقه لإبراز هذه الموضوعات وشرحها .

١- ويبرز موضوع الوحي في كثير من آيات هذه السورة حيث يرد في أولها وصف للقرآن الكريم وإعراض المشركين عن تدبره والإصغاء إليه، ويرد في وسط السورة استقبال المشركين وتلقيهم للقرآن الكريم وما كانوا يفعلونه عند سماعه ويوصون به ، ثم يرد بعد ذلك تفصيل تلقيهم للقرآن الكريم والرد عليهم وعلى ما يفعلون.

٢- وموضوع توحيد الألوهية يرد صريحاً في مطلع السورة، كما ترد الأدلة عليه والآيات البينات في الكون والنفس خلال السورة كلها إلى أن يقرر صراحة على ألسنة المشركين عندما يناديهم الله يوم القيامة ، وأخيراً في وعد الله المؤكد بإظهار آياته في الآفاق والأنفس حتى يتبين أنه الحق.

٣- وموضوع الساعة والحياة الآخرة يعرض في صور شتى من مشاهد القيامة التي تخلل السورة وعرض جزاء المؤمنين والكافرين فيها إلى أن يختم السورة برد العلم بوقت الساعة إلى الله ، وتسجيل شك الكافرين في قيامها ولقائهم الله.

٤- أما موضوع الدعوة ومنهج الدعاة وأخلاقهم فيجيء في موضع واحد من السورة بتركيز وتفصيل لعله مما تفردت به هذه السورة .

---

(١) راجعي هذه الفضائل أول تفسير سورة غافر .

(٢) راجعي روح المعاني ٢٤/ ٩٤ .

موضوعات العقيدة وموقف المشركين منها

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ حم ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَابٌ فُصِّلَتْ
آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ
أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ
مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ
فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ﴿٥﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ
أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ
لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ
هُمْ كَافِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ
أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ ﴾ (سورة فصلت) .

معاني المفردات :

الكلمة	معناها
حم	: تقدم معناها في أول سورة غافر .
الرحمن الرحيم	: اسمان من أسماء الله تعالى مشتقات من الرحمة للمبالغة فيها وأولهما أعم من ثانيهما ولذا لا يطلق إلا على الله تقدست أسماؤه .

فصِّلت : بُيِّنت ووضحت أحكامها ومُيزت موضوعاتها وأغراضها .

بشيراً ونذيراً : الأول من البشارة وهي في الأصل الإنباء بالخبر السار ، والثاني من النذارة وهي الإنباء بالخبر غير السار [1] .

أعـرض أكـثرهم : استكبروا وأنفوا وقاموا أثره عليهم ، ولم يقبلوا عليه.

لا يسمعـــــون : المراد أنهم لا يقبلون عليه ولا ينتفعون به ، فسماعهم له كعدم سماعهم .

فـي أكـنـــــــة : جمع كِنَان كأغطية وغطاء ، والمراد أنها في غلف مغطاة لا يصل إليه القول .

وَقر : الوقر فـي الأذن هو الصمم وثقل سمعها ، والمراد أن آذانهم لا تسمع دعوته .

حجاب : الحجاب هو الساتر والحاجز بين الشيئين ، والمراد خلافهم معه في العقيدة .

فاستقيمـــوا إليـه : توجهوا إليه باستقامتكم على طاعته وعدم ميلكم عن سبيله .

ويل : أي دمار وهلاك ، وقيل : إنه واد في جهنم، والمراد إنذار المشركين بالعذاب .

غير ممـنون : غير مقطوع ولا منقوص .

المعنى الإجمالي للآيات :

تبدأ هذه السورة بحرفي الهجاء « حاميم » للتنبيه على أهمية ما يقال بعدها ويصاغ من جنسها، وهو هذا القرآن الكريم المنزَّل من الرحمن الرحيم، فهو رحمة لهم إذ أثر في حياتهم وصحح عقائدهم ومعارفهم؛ لأنه كتاب بينت آياته وفق موضوعاته، وفصلت وقدرت حسب أغراضه وأهدافه بلسان عربي مبين، يعلم ذلك فيه أهل الدراية والمعرفة باللسان العربي ، ومن لديهم الرغبة في معرفته والعلم به فيقبلون عليه وينتفعون بهديه فهو بشيرهم وربيع قلوبهم، كما هو نذير لمن كذبوا به فلم ينتفعوا بهديه كانوا كالموتى لا يسمعون .

---

(١) وقد يستعمل أحدهما في معنى الآخر فيقيد به كقوله تعالى : ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الانشقاق : ٢٤] ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴾ [يس : ١١].

وقد صرح المعرضون عن القرآن بنفرتهم منه، وما جعلهم معه كالموتى بقولهم: قلوبهم في أغطية تسترها فلا تصل إليها كلمات القرآن ولا دعوتهم إليه ، وفي آذانهم ثقل وصمم يمنع سماعهم ، ثم هم فوق هذا وذاك يفصلهم عن رسول الله ﷺ ستر سميك وحجاب منيع ، فلا أمل إذاً في لقائهم على طريق الإيمان فليعمل على طريقه ودينه ويدَعهم على طريقهم ودينهم فإنهم ماضون على ذلك غير مبالين بدعوته ولا بنذيره وتهديده .

ولكن الرسول ﷺ يمضي في دعوته بتوجيه الله له، وإعلانه إياهم أن ليس له من الأمر شيء فلا يملك هدايتهم أو عقابهم ؛ لأنه بشر مثلهم لا يفترق عنهم بغير الوحي الذي اصطفاه الله به واختاره لتبليغ الناس بوحدانيته ودعوتهم إلى الاستقامة على فطرة الله وإخلاص العبادة له ، وطلبهم مغفرته عما سلف لهم من الذنوب وعدم الإخلاص له ، وليس في هذا الذي تميز به محمد ﷺ ما يحول بينهم وبين دعوته ، كما قرر هؤلاء المشركين ، ومِن ثَمَّ يجيء تهديد الله لهم بالخسارة والهلاك على شركهم وعدم استقامتهم، فلا هم زكوا أنفسهم بالتوحيد ، ولا هم حصنوا أموالهم بالتطهير لينالوا الجزاء عند الله، بل لم يؤمنوا أصلاً بدار للجزاء يثاب فيها الموحدون والزاكون المزكون ، ويهلك فيها المانعون المضيعون لأمر الله وشرعه .

فيا ويل من ضيع الزكاة واقترن بالمشركين والكافرين بالآخرة المكذبين برسول الله وبما أُوحي إليه، أما من آمنوا به وصدقوه وأخلصوا العبادة لله واستقاموا له فوحدوه ولم يشركوا به ، وقاموا بصالح الأعمال واستغفروه من سيئها ؛ فلهم ثوابهم عند الله في الآخرة وأجرهم الذي لا ينقطع في جنات النعيم .

من فوائد الآيات :

١- إثبات الرحمة لله تعالى وأنها صفة من صفاته سبحانه.

٢- من صفات القرآن العربي تنزيله رحمة للعالمين مفصلة آياته وهو مبشر للمؤمنين ومنذر للكافرين.

٣- المعرضون عن القرآن والكافرون به كالموتى لا يسمعون ولا يعقلون إذا لم ينتفعوا به أو يهتدوا بهديه.

٤- إبراز هذا المقطع لوحدانية الله وصدق الوحي والرسالة والإيمان بشريعة الله واليوم الآخر.

٥- بشرية الرسول وصدقه فيما بلغ به عن الله، وكذب المشركين فيما زعموه من الصوارف عن الوحي لتصديقهم به.

٦- الإهلاك للمشركين والمفرطين في شريعة الله والإثابة بدوام النعيم للمؤمنين القائمين على شرع الله والعمل الصالح .

١- ما اسم هذه السورة؟ وماذا تعرفين لها من فضائل؟ وما أبرز الموضوعات التي وردت بها ؟

٢- وضحي معاني الكلمات القرآنية التالية: (فصلت ، أكنة ، وقر ، حجاب ، ويل ، ممنون) .

٣- ما موضوع هذا المقطع ؟ ولماذا كان القرآن رحمة للعالمين ؟ وما أهم صفاته المذكورة في هذا المقطع ؟

٤- ما أسباب إعراض المشركين ـ في زعمهم ـ عن القرآن ؟ وبماذا شبههم الله في إعراضهم ؟ وبماذا تهددهم؟

٥- وضحي بعبارتك توجيه الله لرسوله ﷺ في مواجهة المشركين مبرزة عناصر العقيدة في هذا التوجيه .

٦- اذكري فائدتين مما عرفته من فوائد آيات هذا المقطع واشرحيهما .

قصة الخلق ودلالتها على وحدانية الله وقدرته

﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ
الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾
وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي
أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ
فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾
فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا
وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ
الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾ (سورة فصلت).

معاني المفردات :

الكلمة	معناها
في يومين	: أي زمنين وطورين يعلم مقدارهما الله ، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [الحج : ٤٧].
أندادًا	: جمع ند وهو المثل والنظير ، والمراد شركاء في العبادة والألوهية .

رواســـي : جبالاً ثوابت حافظة للأرض ومرسية لها.

بـارك فيـــــهـا : كثر فيها من الخيرات والمنافع .

أقواتها : أرزاق أهلها وحاجاتهم وسائر ما يصلح معايشهم .

سواء : تامة كاملة بلا زيادة ولا نقصان .

للسائلين : أي لأجل الطالبين حاجاتهم وأقواتهم ، أو للسائلين : في كم خلقت الأرض وما فيها ؟

استوى إلى السماء : قصد إلى خلقها قصداً سوياً وأقبل إليها بإرادة تامة [1] .

دخان : الدخان ما ارتفع من لهب النار، والمراد ما يشبهه من بخار الماء والأرض الصاعد إلى أعلى .

ائتيا : فعل الأمر للسماوات والأرض، واشتقاقه ـ على الصحيح من الإتيان بمعنى المجيء والانقياد.

فقضاهن : فرغ من تسويتهن وأكمل خلقهن .

أوحـي .. : خلق فيها ما اقتضته الحكمة من النواميس والسنن.

الـسـمـاء : القريبة إلى الأرض والتي تظهر فيها الكواكب والشمس والقمر .

بمصابيح : المراد بها النجوم والكواكب المنيرة كالمصابيح .

وحفظاً : أي وحفظناها حفظاً من التصدع والزوال ، أو من الشياطين كـقوله تعالى : ﴿ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴾ [الحجر : ١٧]

(١) راجعي : فتح رب البرية بتلخيص الحموي ص ٣٣، تفسير القرآن العظيم ١/ ٦٧، فتح القدير ٤/ ٥٠٧.

المعنى الإجمالي للآيات :

يستكمل السياق في هذا المقطع توجيه الله لرسله ﷺ أن يأخذ بأنظار المشركين وعقولهم، إلى كبريات الأمور كوحدانية الله وقدرته في خلق الكون الكبير، فيسألهم ـ موبخاً ومنكراً ـ كيف يكفرون بالله الذي خلق الأرض في يومين وطورين متعاقبين بقدرته الباهرة، وهيأها لهم بعزته وحكمته؛ لأنه ربهم ورب العالمين الذي يصلح شؤونهم ويقوم على أمرهم؛ فهل من هذا شأنه وخلقه يسوغ لكم أن تشركوا به ما ليس له هذا الشأن ولا مثل هذا الخلق ؟! إنكم إذ تجعلون له أنداداً تأتون أمراً عظيماً ومنكراً قبيحًا.

ومن أحكام خلق الله للأرض أن جعل فيها جبالاً ثوابت تحفظ توازنها وترسوا بها في الفضاء وبارك في هذا الأرض بما كثر من خيراتها ومنافعها في زروعها النامية على ظهرها، وكنوزها ومعادنها المخفية في جوفها، وقدر فيها أرزاق العباد وما تقوم به حياتهم ، وقد جعل كل ذلك وقَدَّرهُ في طورين آخرين ليكتمل للأرض خلقها وجعل الرواسي من فوقها وإكثار خيراتها وتقدير أقواتها في أربعة أيام بالتمام والكمال.

ولما ذكر خلق الأرض وما فيها ، ذكر خلقه للسماء لما قصد إليها وتوجهت إرادته إلى خلقها وتكوينها، وقد كانت دخاناً ثم أمر الله السماء والأرض بعد خلقهما أن تستجيبا لأمره وتنقادا لتسخيره إياهما، وليكن منهما كل ذلك على طوع منهما أو كـره ، ولكنهما تستجيبان لخالقهما وتعلنان ولاءهما له طائعين لكلمته مستسلمين لإرادته ومشيئته [1] .

ويختم هذا المقطع بتقرير عن خلق السماوات ، حيث أتم الله خلقهن سبعاً، وفرغ من تسويتهن في طورين غير الأربعة السابقة لتكون جملة أيام الخلق ستة كما قال تعالى : ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ﴾ [الحديد : ٤] .

وخلق الله لكل سماء ما اقتضت حكمته أن يكون فيها من الملائكة وغيرها من عوالم يعلمها الله، وقدر ما يلزم من السنن والنواميس، وفوق هذا اختصَّ السماء القريبة من الأرض بما نراه المضيئة التي زيَّنها

(١) نقل القرطبي قول أكثر أهل العلم أن الله خلق فيهما الكلام فتكلمتا كما أراد سبحانه. الجامع لأحكام القرآن ١٥/ ٣٤٤ .

في منظر بهي، كما حفظها مما يعرض لها من الشياطين التي تسترق السمع أو يعرض لكواكبها ونجومها من الاضطراب والخلل، لأن كل ذلك مخلوق بتقدير متقن وحكمة فائقة من العزيز القوي الذي يمسك السماوات والأرض أن تزولا، العليم بخفايا مخلوقاته فلا يستعصي عليه شيء من خلقه.

من فوائد الآيات :

١- تفيد هذه الآيات وغيرها خلق الله للأرض قبل السماء ولا يعارضه دحو الأرض بعد ذلك كما جاء في سورة (النازعات) ، إذ إن دحوها هو تهيئتها للحياة والسكنى وهي مرحلة بعد خلقها وإيجادها.

٢- إرساء الجبال للأرض فيه إشارة إلى حفظ توازنها واستقرارها في حركتها كما قال تعالى : ﴿ أَن تَمِيدَ بِكُمْ ﴾ [النحل : ١٥] .

٣- خلق الله للسماوات والأرض في ستة أيام مع قدرته على ذلك في لحظة إشارة لتعليم الخلق الصبر والرفق في أمورهم .

٤- استجابة العوالم السماوية والأرضية لله تعالى طاعة وانقياداً لا يشذ عن ذلك إلا من كفر البشر وجعل له نداً.

٥- دخانية السماء قبل تكوينها على نحو ما أراده الله وجعلها سبعاً لكل منها ما أمر به من وحي الله .

١- وضحي معاني الكلمات القرآنية التالية : (أنداداً ، رواسي ، أقواتها ، سواء ، دخان ، ائتيا).

٢- ما موضوع هذا المقطع ؟ وما مدلول اليوم في خلق الله للسماوات والأرض؟ وما المقصود باستواء الله إلى السماء ؟

٣- أيّ من السماء والأرض خلق أولاً ؟ وكم استغرق خلق كلٍ منهما ؟ وما الحكمة من خلقهما في هذه الأزمان الطويلة ؟

٤- ما وجوه إحكام الله لخلق الأرض والسماء كما أقرها هذا المقطع ؟ وماذا كان أصل السماء قبل تكوينها ؟

٥- ما المقصود بإيحاء الله لكل سماء أمرها ؟ وبماذا انفردت السماء الدنيا ؟ وما وظيفة الكواكب والنجوم فيها ؟

٦- اذكري فائدتين من فوائد هذا المقطع واشرحيهما .

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ
عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ
خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً
فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى
ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ
ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ
﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ
عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ
لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى
ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ
﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ
أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ
عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾

﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾﴾

(سورة فصلت).

معاني المفردات :

الكلمة	معناها
صاعقة	: نار تسقط من السماء في رعد شديد وصيحة قوية .
من بين أيديهم ومن خلفهم :	يعني أمامهم ووراءهم ، والمراد : جميع جهاتهم .
بما أرسلتم	: هذا القول من الكافرين استهزاء وليس إقراراً بإرسال الرسل كقول فرعون : ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [الشعراء : ٢٧] .
صرصرا	: ريحاً قوية الهبوب مزعجة الصوت شديدة البرودة تهلك ببردها .
نحسات	: أي نَكِدَات مشؤومات .
الخزي	: الذل والصَّغار الذي يليق بالمستكبرين والمعجبين بقوتهم .
فهديناهم	: دللناهم على الحق وبينا لهم طريق النجاة .
فاستحبوا العمى	: أي اختاروا ، والمراد بالعمى الظل لمقابلته بعد الهدى .
العذاب الهون	: أي ذي الهوان والإهانة، كقوله تعالى : ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [المجادلة: ٥] .

يُحشر أعداء اللّه : يجمعون بعد البعث ويساقون إلى النار .

يوزعون : يُحبس أولهم ليلحق به آخرهُم .

لجلودهم : الجلود معروفة ، والمراد جوارحهم كقوله تعالى :

﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النور : ٢٤] .

المعنى الإجمالي للآيات :

انتهى المقطع السابق بإبراز طاعة السماء والأرض بقولهما : ﴿ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ في مقابل إعراض الكافرين وحدهم ، وجعلهم لله أنداداً ، فلم يكن بد من إنذارهم وتخويفهم بما حل بأمثالهم من قبل كعاد وثمود من الصواعق المحرقة، وهو الإنذار الذي تفصله آيات هذا المقطع [1] ، التي قصت عليهم مصارع هؤلاء الذين أتتهم رسلهم ولم يدخروا وسعاً في دعوتهم إلى توحيد الله ، ولكنهم استكبروا واستكثروا على بشر مثلهم أن يكونوا رسلاً لله ، وزعموا أن لو شاء الله إرسال رسل له لكانوا ملائكة لا بشراً ، ومن ثَمَّ يجيء إعلانهم لكفرهم بالرسل مؤكداً ؛ نتيجة معتقداهم الفاسد في ضرورة كون الرسل ملائكة .

وتأتي الآيات ببعض التفصيل لقصة كل منهما ، فأما عاد فجاوزوا الحق وتكبروا عن الإيمان واغتروا بقوتهم ومتانة بنيانهم وظنوا أنها مانعتهم من عذاب الله وبأسه ، ونسوا ، ـ مع هذا الاغترار ـ أن الله الذي خلقهم بهذه القوة والشدة ، هو أشد منهم قوة، وأكثر قدرة على إنزال العذاب بهم ، وكيف لهم أن يذكروا ذلك وهم الذين يجحدون آيات الله ودلائله المنصوبة على قدرة الله وتوحيده وصدق رسلهم الذين أتوهم ؟

ولهذا جاء عذابهم ومصرعهم ـ الذي ناسب استكبارهم وجحودهم ـ ممثلاً في هذه الريح الشديدة

---

(١) أورد ابن كثير قصة هذا الإنذار عن محمد بن كعب وجابر بن عبدالله، وجملها أن عتبة بن ربيعة ذهب إلى محمد ﷺ يعرض عليه ـ أموراً لعله يقبل منها ويكف عن دعوته، فلما فرغ من عرضه أسمعه ﷺ : ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ حتى بلغ ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ فأمسك عتبة بفيه وقال : حسبك ورجع إلى أهله ولم يخرج، فقال قريش : صبأ أبو الوليد ، فغضب وحكى لهم ما حدث ثم قال : وقد علمتم أن محمداً إذا قال لم يكذب فخشيت أن ينزل بكم العذاب. تفسير القرآن العظيم ٤/ ٩٠-٩١.

البرودة ، والتي جاءتهم في أيام نكدة مشؤومة وتتابعت عليهم سبع ليال وثمانية أيام حتى صاروا كأعجاز النخل الخاوية وكُسُوا أثواب المذلة والصغار في الدنيا ، ثم هم في الآخرة يكونون أشد صغاراً وإذلالاً ولا يجدون من يدفعه عنهم فيها ، كما لم تدفعه عنهم قوتهم في الدنيا.

وأما ثمود الذين بيّن الله لهم طريق النجاة ودّلهم على الحق، فقد اختاروا الضلالة والكفر وآثروهما على الهداية والإيمان ، وعقروا الناقة التي جعلها الله آية صدق نبيهم صالح عليه السلام ، فكان جزاؤهم أن أهلكهم الله بالصاعقة وأورثهم الذل والهوان باكتسابهم الآثام وإيثارهم الكفر والتكذيب ، أما الذين اختاروا الهداية منهم وآمنوا بالله واتقوه فقد نجاهم الله من أظهرهم وقاهم عذاب الهون الذي نزل بغيرهم من أعداء الله.

وينتقل سياق الآيات إلى مشهد هؤلاء الكافرين من أعداء الله وأمثالهم في الآخرة ، يوم يجمعون بعد بعثهم، ويوقف أوائلهم أمام النار حتى يلحق بهم أواخرهم ، حيث يطلعنا الله على جانب من سلطانه ويقيم على هؤلاء شهوداً من أعضائهم وجوارحهم، وعلى حين تنعقد ألسنتهم في هذا المقام فإن أسماعهم وأبصارهم وجلودهم تخرج عن إرادتهم وتستجيب لربها ناطقة بما كانوا يعملون في الدنيا ، وفي ذهولهم من هذه المفاجأة يلومون أعضاءهم ويسألونها في دهشة : لِمَ شَهِدَتْ عليهم وقد كانت عوناً لهم على المعاصي؟ فتجيبهم الأعضاء بالحقيقة : لقد أنطقنا الله وأقدرنا على الشهادة فما خرجنا عن قدرته ، وهو الذي أنطق كل شيء من مخلوقاته ، وقد خلقكم أول مرة فلم يُخالَف أو يُمانَع ، وإليه مصيركم بعد موتكم فلا مفر لكم من قبضته أولاً وآخراً.

من فوائد الآيات :

١- سلوك الأنبياء في دعواتهم لكل طرق الإقناع من الترغيب والترهيب وآخرها إنذار المدعوين وتخوفيهم .

٢- وحدة الدعوة إلى توحيد اللّه عند جميع الأنبياء ، ووحدة الشبهة والاعتراض عند الكفار ببشرية الرسل.

٣- إنزال العذاب بكفار الأمم مناسباً لجرمهم كصعق عاد بالريح الصرصر وإذلالهم جزاء كبرهم واغترارهم بقوتهم.

٤- إهلاك كفار الأمم بأنواع العذاب في الدنيا لا يعفيهم من عقاب الآخرة وعذابها ، بل هو أشد عليهم وأخزى.

٥- عقاب الله وثوابه في الدنيا أو الآخرة ونتيجة لكسب المعاقبين والمثابين في الدنيا.

٦- فضيحة الكفار وإقامة الحجة عليهم بشهادة أبعاضهم وجوارحهم التي ينطقها الله بأعمال أصحابها وحقيقة كفرهم.

١- وضحي معاني الكلمات القرآنية التالية : (صاعقة ، صرصراً ، نحسات ، الخزي ، يحشر ، يوزعون) .

٢- ما موضوع هذا المقطع ؟ وما علاقته بسابقه ؟ وما سبب إهلاك الله لعاد ؟ وبم كان هلاكهم؟ وكم استمر؟

٣- ما معنى مجيء الرسل من بين أيدي عاد وثمود ومن خلفهم ؟ وما شبهتهم في عدم تصديقهم الرسل ؟ وكيف تردين عليهم ؟

٤- بم اغترت عاد ؟ وكيف رد الله على غرورها ؟ وما المناسبة بين جرمهم وعقابهم في الدنيا ؟ وهل يغني هذا عن عقابهم في الآخرة ؟

٥- بِمَ استحقت ثمود عذاب الهون ؟ وما المراد به ؟ وما مصير هؤلاء في الآخرة ؟ وبِمَ نجى الله مؤمني قوم صالح ؟

٦- اذكري فائدتين عرفتهما من فوائد هذا المقطع واشرحيهما .

موقف أعداء الله وأوليائه وجزاؤهم في الآخرة

﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَٰرُكُمْ
وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ
﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم
مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن
يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ
قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ
ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ
كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ
وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا
شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ
أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ ۖ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ
﴿٢٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ
وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ
الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ
الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ
وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾

(سورة فصلت).

سبب النزول :

أخرج الشيخان عن ابن مسعود رضي الله عنه ـ واللفظ لمسلم ـ قال : اجتمع عند البيت ثلاثة نفر ، قرشيان وثقفي ، أو ثقفيان وقرشي ، قليل فقه قلوبهم كثير شحم بطونهم ، فقال أحدهم : أترون الله يسمع ما نقول ؟ وقال الآخر : يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا، وقال الآخر : إن كان يسمع إذا جهرنا فهو يسمع إذا أخفينا ، فأنزل الله عز وجل :

﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ ﴾ [1].

(١) راجعي : فتح الباري ـ أبواب التفسير ـ باب ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ ﴾ ٨/ ٥٦١، صحيح مسلم ـ كتاب صفات المنافقين ٤/ ٢١٤١.

معاني المفردات :

الكلمة	معناها
تستترون	: تَسْتَخْفُون بأعمالكم القبيحة، وتكتمونه والمراد ما كنتم تتركون هذه الأعمال لعدم إمكان سترها عن جوارحكم [1] .
أرداكم	: من الردى وهو الهلاك ، يعني أهلككم وقادكم إلى النار .
مثوى	: مأوى ومقاماً ، أصله من ثوى بالمكان إذا أقام فيه .
يستعتبوا	: يسترضوا فهو طلب العتبى والرضا، والمراد به الاعتذار .
المعتبين	: المقبول عتابهم والمجابين إلى طلبهم في العتبى .
قيضنا لهم قرناء	: يسَّرْنا وهيأنا ، والمراد سلطنا عليهم أصحاباً وغواة من الجن والإنس .
حق عليهم القول	: وجبت عليهم كلمة العذاب وثبتت، والمراد بها قوله تعالى : ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [ص : ٨٥] .
خلت	: مضت وسلفت من قبل .
واللغوا فيه	: عارضوه باللغو من الكلام والقصص وغير ذلك ، والصياح والرجز لتشوشوا عليه ، وكل ذلك كانوا يفعلون.
دار الخلد	: أي الإقامة المستمرة التي لا انقطاع لها.
تحت أقدامنا	: أي ندوسهما انتقاماً منهما ، أو نجعلهما أسفل منا في النار.
من الأسفلين	: في الدرك الأسفل من النار ، أو من الأذلين المهانين.
استقاموا	: ثبتوا وداموا على التوحيد والإيمان وإخلاص العبادة لله.

(١) يجوز أن يكون هذا الكلام تعقيباً من الله على المشهد السابق كما يدل عليه خبر سبب النزول ، ويجوز أن يكون من بقية كلام الجوارح لأصحابها.

لا تخافوا ولا تحزنوا : الخوف والحزن كلاهما غم يلحق النفس ؛ لتوقع مكروه في الأول ، ولفوات منفعة في الثاني .

أولياؤكم : أعوانكم وقرناؤكم المتولون لحفظكم ورعايتكم .

تدّعون : تتمنون وتطلبون ، افتعال من الدعاء بمعنى الطلب .

نُزُلاً : النزل : الرزق الذي يُعَدّ من مطعم ومأوى وغيرهما .

المعنى الإجمالي للآيات :

يبدأ هذا المقطع بالتعقيب على المشهد العجيب لملامة الكفار والمشركين لجوارحهم ومحاجة الجوارح لهم، وتقرير الله لحجاج الجوارح وتوبيخ أصحابها الذين ما كانوا يخفون أفعالهم المنكرة مخافة أن تشهد عليهم جوارحهم ، وتنطق بأعمالهم القبيحة ، وإنما ظنوا سوءاً[1] ، أن الله لا يعلم كثيراً من أعمالهم عند استتارهم ـ وهو الذي يعلم السر وأخفى ـ وخدعهم ظنهم السيء بالله حتى أوردهم موارد التهلكة وصاروا من الخاسرين الهالكين في نار جهنم التي لا ينفعهم صبرهم عليها فلا مخرج لهم منها وقد صارت مقرهم الدائم ، كما لا تقبل معاذيرهم فتُقَالُ عثراتهم ويُرْضَى عنهم ، فما عاد هناك بعد الموت من متاب أو عتاب .

ويكشف سياق الآيات عن سبب خسرانهم الذي أراده الله بهم بما اطلع على فساد قلوبهم وإعراضهم عن الإيمان ، فهيأ لهم أعواناً من شياطين الإنس والجن حَسَّنُوا لهم فعل المنكرات في الدنيا وأوقعوا في نفوسهم أنْ لا حساب ولا عقاب ولا جنة ولا نار ، حتى انتهوا بهم إلى الخسران ، ووجبت عليهم كلمة الله كما وجبت على أمم أمثالهم قد مضت من الجن والإنس فإذا هم وإياهم مستوون في الخسارة والهلاك .

---

(١) من الظن ما هو حسن وخير ومنه ما هو شر وقبيح، وإحسان الظن بالله والمؤمنين مطلب شرعي، والله ـ تعالى ـ عند ظن عبده ـ به، قال ﷺ : « لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله » أخرجه مسلم عن جابر في كتاب الجنة ـ باب الأمر بحسن الظن بالله ، الصحيح ٤/ ٢٢٠٥.

ويذكر السياق مثالاً من تزيين القرناء الأفعال القبيحة لهؤلاء الكفار والمشركين ما تواصوا به من عدم إنصاتهم للقرآن الكريم خشية استجابتهم لهديه ، والتشويش عليه عند قراءته باللغو من الكلام، والباطل من الصراخ والصياح، فلعلهم بذلك يغلبون المسلمين ويقضون على ذكر القرآن وتأثيره على نفوسهم، ولهذا يتوعد الله هؤلاء على شنيع فعلهم وقبح ما تواصوا به منتصراً لكتابه مؤكداً ذوقهم العذاب الشديد الذي يناسب جرمهم واستهزاءاهم بالقرآن مع ما ينالونه من جزاء أعمالهم السيئة كالشرك وغيره حيث لم يبق لهم من صالح الأعمال شيء بعد ان أحبطها كفرهم.

وسرعان ما يجد أعداء الله أنفسهم في النار، وينالون جزاءهم المعدّ لهم في الدار الخالدة بسبب جحدهم بآيات الله واستهزائهم بكتابه، ولغطهم ولغوهم عند قرائته، وهنا يطلعنا الله على حنق المخدوعين وغضبهم من قرنائهم من الجن والإنس، وطلبهم من الله أن يمكنهم من هذين الفريقين من الأشرار لينتقموا لأنفسهم منهما بأقدامهم ليكونا من الأذلين والمهانين والمنزلين في الدرك الأسفل من النار وبئس القرار.

وإذا كان شأن الضالين في الدنيا والآخرة من أعداء الله فإن لأوليائه وأحبابه شأناً آخر فيهما، فهؤلاء اعترفوا بربوبية الله واستقاموا على توحيده وإخلاص العبادة له والعمل الصالح، ومن ثم لم يقيض الله لهم قرناء سوء ، بل كلف بهم ملائكة من عنده يلهمونهم فعل الخيرات ويفيضون على قلوبهم بالأمن والطمأنينة، فلا غم يصيبهم مما هم مقدمون عليه، ولا ندم يعتريهم مما فاتهم في الدنيا وتركوه ، ويبشرونهم بالجنة التي وعدتهم بها الرسل عليهم السلام ؛ ثم هم يبشرونهم أخيراً بولايتهم لهم في الحياة الآخرة كما تولوهم في الحياة الدنيا [1] ، فلا يتركونهم حتى يصلون بهم إلى جنات النعيم التي لهم فيها ما يشتهون من صنوف اللذات وأنواع النعيم ، بل لهم فيها كل ما يتمنون ويطلبون حاضراً وجاهزاً ، ومُعَدًّا لهم من قِبَلِ الله الذي غفر ذنوبهم وسترها وكان بهم رؤوفاً رحيماً.

(١) يجوز أن تكون هذه البشارة الأخيرة من كلام الله تعالى لا من تتمة كلام الملائكة وبشارتها للموحدين، فالله ولي الذين آمنوا وهو وليّ المتقين.

من فوائد الآيات :

١- تعلق علم الله تعالى بالظاهر والباطن من الأمور والأفعال، فهو يعلم السر وأخفى من السر.

٢- حسن الظن بالله وبالمؤمنين من المطالب الشرعية ، وسوء الظن بهما يردي صاحبه ويهلكه.

٣- استقرار المستكبرين والكافرين في النار لا ينفعهم صبرهم عليها ولا تقبل منهم أعذار أو عتبى.

٤- مَنْ عَلِم الله فساد قلبه وأراد له الضلالة هيأ له من يزين عمله القبيح مِنْ قرناء السوء ويعينه عليه.

٥- من شأن الكفار التشويش على القرآن وعدم السماع له، أما المؤمنون فشأنهم سماعه والإنصات له رجاء لرحمة الله.

٦- حَنَق الضالين يوم القيامة على قرنائهم في الدنيا وانقلاب ودهم وموالاتهم عداوة وكراهية.

٧- اقتران وعيد الله للكافرين بوعد الله للمؤمنين قصداً للترهيب من النار والعقاب والترغيب في الجنة والثواب .

٨- تولي الملائكة لأولياء الله في الدنيا بحفظهم من السوء وإلهامهم فعل الخيرات وتبشيرهم بالجنة دار النعيم.

٩- عظمة الاستقامة على توحيد الله وإخلاص العبادة له وعظمة الأجر عليها من نزل الله وما تشتهيه الأنفس وتتمناه.

١- وضحي معاني الكلمات القرآنية التالية : (أرداكم ، يستعتبوا ، قيضنا ، أولياؤكم ، تدَّعون ، نُزُلاً) .

٢- ما موضوع هذا المقطع ؟ وما سبب نزول الآيات الأولى منه ؟ وما ظن الكافرين بالله؟ وماذا أدى إليه ظنهم ؟

٣- لِمَ لا ينفع الكفار صبرهم على النار، ولِمَ لا تقبل معذرتهم؟، وما سبب خسرانهم؟ وما دور قرناء السوء في ذلك ؟

٤- ما موقف الكفار والمشركين من القرآن ؟ وما غايتهم من هذا الموقف ؟ وبماذا توعدهم الله؟ وما أسوأ عملهم ؟

٥- ما موقف الضالين في الآخرة من قرنائهم ؟ وبماذا كرم الله أولياءه في الدنيا؟ وما السبب؟ وبماذا بشرتهم الملائكة ؟

٦- صفي بأسلوبك الخاص جزاء المستقيمين على توحيد الله في الآخرة ووازني بينه وبين جزاء المستكبرين فيها .

٧- اذكري ثلاث فوائد عرفتها من هذا المقطع واشرحي واحدة منها .

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ
إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ
ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ
وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ
إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ
فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ
ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ
وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ
إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ
رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴿٣٨﴾
وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ
ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ (سورة فصلت).

معـــاني الـمـفـــــردات :

الكلمـــة	مـعـنـــــاهـــا
مَن أحسنُ قولاً	: الاستفهام في معنى النفي ، أي لا أحد أحسن قولاً .
دعـــا إلـى اللّـه	: أي إلى توحيده تعالى وطاعته .
الحـسنة والسـيئة	: الحسنة كل ما يرضي الله ويثيب عليه ، والسيئة كل ما يبغضه الله ويعاقب عليه .
ادفع	: أي رُدّ ، ومفعول الدفع محذوف للتعميم ، كدفع السيئة بالحسنة ، السيِّء بالإحسان إليه ، والذنب بالعفو وغير ذلك .
وَلـيّ	: الولي الناصر والمعين .
يُلَقَّاها	: يتقبلها ويحتملها ويعمل بها .
حظ عظيم	: الحظ هو النصيب عامة، والمراد النصيب الوافر من الخير .
ينزغنك	: من النزغ وهو النخس بمعنى واحد، والمراد به وسوسة الشيطان .
استعذ	: من الاستعاذة وهي الالتجاء والتحصن .
آياته	: جمع آية وهي العلامة، والمراد هنا أفعال اللّه ومخلوقاته البالغة الإتقان والدقة، والدالة على قدرته ووحدانيته .
لا يسأمون	: لا يملّون ولا يفترون .
خاشعة	: الخشوع تذلل وتصاغر، والمراد أنها لا نبات بها ولا حركة .
اهتزت وربت	: استبشرت بالمطر وتحركت وزادت بالنبات .

المعنى الإجمالي للآيات :

توضح آيات هذا المقطع منهجاً للدعاة إلى الله وتوحيده وميداناً خصباً للدعوة، وتقدم أسوة للدعاة وحسن أدبهم في شخص رسول الله ﷺ ، وتبدأ الآيات بتقرير أن لا أحد أحسن عند الله ولا أفضل مِمَّن دعا إلى توحيده وطاعته[1] ـ وبخاصة أمام دعاة الباطل ـ وشفع دعوته بالعمل الصالح الذي يصدقها، وأعلن إسلامه وخضوعه لله الذي يقصده وحده بدعوته ، وإن دعوة مثل هذا وقوله ؛ يكونان حينئذ أفضل ما يصعد إلى السماء من الكلم الطيب والعمل الصالح ، وتلك منزلة رفيعة من الإحسان لا تتساوى بدرجة المسيئين من دعاة الباطل وقرنائهم .

ولهذا يجيء توجيه الله للدعاة بالتزام الإحسان في كل أحوالهم ، وبخاصة فيما يقابلون به من شرور وسيئات ، وألا ينزلوا عن درجتهم فيها ويقابلون السيئة بمثلها ، فإن آثار السماحة والدفع بالحسنى في نفوس المدعوين بعيدة ، تنقلب معها الخصومة والعداوة إلى ولاء وصداقة ، كما قال عمر رضي الله عنه : « ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه » وتلك درجة لا يقدر عليها إلا الأشداء الصابرون الذين يحتملون هذا الخلق ، وهم الذين وهبهم الله هذا الفضل وخصهم بالنصيب الوافر من السعادة في الدنيا والثواب في الآخرة .

ثم تأتي أخيراً تسليح الله للدعاة في مواجهة ما يخرجهم عن سمت السماحة والحسنى مثل استغلال الشيطان لمواطن الضعف النفسي عندهم ، فإن وسوس لهم شيطان بمجازاة المسيئين ، فليكن سلاحهم الاستجارة بالله من كيده ووساوسه ، فإنه السميع لمن يستعيذ به والعليم بحال مَن يستعصم به ، فيعيذهم ويعصمهم.

وينتقل سياق الآيات مع الداعي إلى الله إلى مجال كبير لدعوته ، ويتجول به من آيات الله الكونية ودلالتها على قدرة الله ووحدانيته والتي منها الليل والنهار، وتعاقب كل منهما لصاحبه لا يسبقه، والشمس والقمر

(١) قيل : إن المقصود بالآية المؤذنون خاصة، ومع ما ورد من آثار صحيحة في فضلهم فالأولى حمل الآية على عموم الدعاة وهؤلاء داخلون في العموم.

وسيرهما في فلكه بحسبان وتقدير لا يدرك أي منهما الآخر ولا يصطدم به، فهما مخلوقان مسخران لأمر الله وإرادته ولا يخرجان في حقيقتهما عن ذلك، ومِن ثَمَّ يأتي نهيُ الله تعالى لمن أخرجهما عن هذه الحقيقة وسجد لهما من دون الله ، وأمرُه لهم بالكف عن هذا الانحراف، والسجود لله الذي خلقهم وخلقهن إن كانوا يقصدون عبادة الله حقاً كما يزعمون ، فإن تكبروا عن السجود لله وأصروا على سجودهم للكواكب، فغيرهم مِمَّن هم خير منهم وأفضل وهم عند الله ـ لا يستكبرون عن عبادته والسجود له ، بل يسبحون له آناء الليل وأطراف النهار، لا يملّون من ذلك أو يكلّون ، ولايفترون أو يسأمون .

ويختم هذا المقطع بآية أخرى في الأرض التي تظهر للناس ساكنة هادئة، خاشعة لله وهي تتلقى منه حياتها بما ينزل عليها من غيث السماء فإذا هي تتحرك بالنبات وتزدهر بألوان الزرع والثمار، وتنمو بالحياة فيها، لتشارك الموجودات تسبيحها لله وعباداتها إياه ، وفي ذلك الإحياء المعجز الذي لا يخطئه النظر كل الدلالة على إحياء لله للموتى بقدرته العامة والشاملة التي تتعلق بكل شيء ولا يَـنِـدُّ عنها شيء من خلقه تعالى .

من فوائد الآيات :

١- أحسن الناس قولاً عند الله المسلمون إليه الداعون إلى توحيده العاملون بما يقولون ويدَّعون.

٢- إخلاص الداعي في دعوته وعمله بما يدعو إليه من أركان الدعوة إلى الله وأسس نجاحها.

٣- أنجع الوسائل في علاج المسيئين الإحسان إليهم والتجاوز عن سيئاتهم مع القدرة على مؤاخذتهم.

٤- الصبر على المكاره وكظم الغيظ، واللجوء إلى الله والاستعاذة به من نزغ الشيطان من عدة الدعاة ووسائلهم.

٥- في هذا المقطع سجدة تلاوة يسن للقارئ القيام بها عند انتهائه في القراءة إلى قوله تعالى : ﴿ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴾ .

٦- من أظهر الدلائل على وحدانية الله وقدرته وآياته المبثوثة في الكون «أرضه وسمائه وما فيهما» .

٧- سجود المخلوقات كلها لله وعبادتها لخالقها يستوي في ذلك صغيرها وكبيرها ظاهرها وخفيها.

٨- من أظهر الآيات والدلائل على بعث الموتى إحياء الله للأرض بعد موتها.

١- وضحي معاني الكلمات القرآنية التالية : (الحسنة، يُلَقَّاها، حظ ، ينزغنك ، آياته، يسأمون).

٢- ما موضوع هذا المقطع ؟ وما معنى الاستفهام في أوله؟ وَمَن الداعي المقصود في المقطع؟ وما دعائم فضله عند الله ؟

٣- ما واجب الداعي تجاه رافضي دعوته؟ وما عدته في ذلك ؟ ولِمَ لا تستوي الحسنة والسيئة؟ وما الحكمة في ذلك ؟

٤- ما أثر سماحة الداعي ودفعه السيئة بالحسنة ومَنْ أقدر الناس على ذلك ؟ وماذا تعرفين من وسائلهم في ذلك ؟

٥- اذكري ما تعرفينه من آيات الله في الكون وضحي وجه دلالتها على وحدانية الله ؟ بيني توجيه الله لنا في الاعتبار بالشمس والقمر .

٦- من المقصودون بدوام تسبيحهم لله ؟ وما المقصود بخشوع الأرض ثم اهتزازها؟ و علام يدل إحياء الأرض بعد موتها ؟

٧- اذكري ثلاث فوائد عرفتها في هذا المقطع مع شرح واحدة منها .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا ۗ أَفَمَن
يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ
إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ
وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ
خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ
لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾
وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ أَأَعْجَمِيٌّ
وَعَرَبِيٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۖ وَالَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُولَٰئِكَ
يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ
فَاخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ
بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا
فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾

(سورة فصلت).

معاني المفردات :

الكلمة	معناها
يلحدون	: أصله من الإلحاد وهو الميل والعدول، والمراد بالملحدين المائلون عن الحق المعاندون لدلالة الآيات الظاهرة عليه.
أفمن يلقى	: الاستفهام لتقرير عدم استواء من يلقى في النار ومن ينجو منها.
اعملوا ما شئتم	: المقصود بالأمر تهديدهم ووعيدهم ، كما تهددهم وتوعدهم من قبل بالخبر في قوله : ﴿ لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ﴾ .
بالذكر	: المراد به القرآن، وخبر الذين كفروا به لم يذكر في الآية لتفظيع فعلهم.
عزيز	: منيع وقوي ومحفوظ .
حكيم	: صاحب الحكمة في قوله وفعله، والمحمود عليهما من عباده وخلقه.
ولو جعلناه	: لو أداة شرط تفيد امتناع حدوث جزائها لامتناع تحقيق شرطها وهو الفعل بعدها، وجزاؤها قوله : لَقَالوا ... [1].
أعجميا	: غير عربي لا يُفهَم للعربيّ .
أأعجمي	: يعني أكلام أعجمي والمنزل عليه عربيّ ؟ والاستفهام للإنكار.
وقر	: الوقر في أذن ثقل سمعها حتى الصمم .
عمىً	: أي ضلالاً وشكاً ؛ لمقابلته مع المؤمنين بالهدى والشفاء .
لولا كلمة	: لولا حرف امتناع لوجود، امتناع جملة جوابها لوجود جملة شرطها وخبر ما بعدها محذوف اكتفاء بجوابها [2] .

(١ ، ٢) البرهان في علو القرآن ٤/ ٣٦٤ ، ٣٧٦ .

شك مريب : الشك عدم التحقق والتيقن، والمريب المُوْقِعُ في الريب والتشكك والمؤدي إليهما .

بظلام : بذي ظلم ولا ينسب إليه أصلاً فلا يقع منه الظلم لأحد، وفي نفي المبالغة في الظلم نفي ما دونها منه [1] .

المعنى الإجمالي للآيات :

يبدأ هذا المقطع من حيث انتهى سابقه عند الآيات الكونية ، فيقرر أن المائلين عن هذه الآيات، والعادلين عن الإيمان والاستقامة على طريقه ؛ لن يفوتهم جزاؤهم على إلحادهم وكفرهم ؛ لأنهم معلومون لله لا يخفى عليه من أمورهم شيء ، وتكشف الآية عن قليل من مضمون هذا التهديد الخفي في هذا الاستفهام المقرر لكيفية جزائهم وتفاوته مع جزاء المؤمنين ؛ إذ لا يستوي أبداً من يلقى به في النار وهو خائف فزع مع من ينجو منها ويأتي يوم الآخرة آمناً من حرها وشررها ، ثُمَّ لا تلبث أن تعيد عليهم التهديد أقوى مما كان، فقد عرفوا مصيرهم ، وليعلموا إذاً ما شاؤوا فالله بصير بأعمالهم ومحاسبهم عليها.

ويؤكد السياق أن هؤلاء الملحدين في آيات الله هم أنفسهم الذين كذبوا بالقرآن عندما جاءهم ، فجمعوا إلى كفرهم بآيات الله الكونية كفرهم بآياته القرآنية وهو أمر عظيم لا يساويه أي عقاب ، ومِن ثَمَّ يُعْرِضُ السياق عن جزائهم ويلتفت إلى وصف هذا الذكر بما هو أدعى لإيمانهم به ، فهو قويّ في ألفاظه ومعانيه محفوظ بحفظ الله من الطعن والتحريف ، فلا سبيل للباطل إليه بحال، ولا تكذيب لشيء منه فيما أنزل الله ، حيث تنطق آياته بأنه منزل من الله الحكيم في فعله وقوله المحمود عليهما على كل حال.

ويتوجه السياق إلى تسلية رسول الله ﷺ وهو يذكره بأن ما يتلقاه من الله ويقال له ؛ لا يختلف عما تلقاه الرسل من قبله وقيل لهم ، فهم جميعاً على عقيدة التوحيد وعلى شريعة واحدة ، ووجهوا جميعاً بجدل الملحدين وكفرهم ، فليس له إلا ان يصبر صبرهم ، ويمضي في دعوته إلى ربه الذي يغفر للموحدين التابعين للأنبياء ، ويعاقب ـ في ألم شديد ـ من عاداهم وعارضهم.

---

(١) قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا ﴾ [يونس : ٤٤] وقال ﷺ فيما رواه عن ربه : « إني حرمت الظلم على نفسي فلا تظالموا » أخرجه مسلم عن أبي ذر كتاب البر باب تحريم الظلم ٤/ ١٩٩٤، راجعي الجامع لأحكام القرآن ١٥/ ٣٧٠ ، وروح المعاني ٤/ ٤٤.

وتشير الآيات إلى لون من تعنت المشركين وإلحادهم ـ وهي تذكرهم بنعمة الله عليهم في إنزال القرآن عربياً بلسانهم ـ فلقد كانوا يتواصون باللغو فيه وعدم سماعه، وهو منزل بلغتهم العربية، ولو جعله الله أعجمياً لاعترضوا بعدم بيانه وقالوا: لو لا بينت آياته بلغتنا ! وكيف يكون كلاماً أعجمياً وهو منزل على رسول عربيّ؟ ولذا يجيء الرد عليهم فاصلاً في هذا التوجيه : قل لهم يا محمد إن هذا الكتاب هدى للقلوب وشفاء لما في الصدور ولكن للذين آمنوا به، فأما الذين لا يؤمنون به فلا يدركون شيئاً من ذلك ولا يهتدون بهديه ؛ لأن قلوبهم مطموسة وبآذانهم صمم فهو عليهم عمى، كأنهم ينادون بالقرآن من مكان بعيد فلا يفهمون شيئاً من دعائهم ونداءهم.

وتعود الآيات في ختام المقطع إلى تسلية الرسول ﷺ ، وأن تكذيبه والاختلاف في كتابه لم يكن من إبتداع أمته، فلقد أوتي موسى من قبله التوراة فيها الهدى والنور فاختلف قومه فيها ـ كما اختلفت قريش في القرآن، ولولا سبق كلمة الله بتأجيل الفصل بينهم في هذا الاختلاف إلى يوم الفصل العظيم لعجله بهم في الدنيا وأهلكهم باختلافهم في الكتاب وارتيابهم في كونه من عند الله وهكذا يؤجل الله الفصل في الأعمال والجزاء عليها إلى يوم القيامة ليجازى كل واحد من جنس ما عمل ولا يعاقب أحداً بغير ذنبه، فَمن عمل صالحاً في الدنيا فلنفسه جزاء عمله في الآخرة، ومَن أساء العمل فيها فجزاء سوئه يناله في الآخرة وما يظلم ربك من عباده أحداً.

من فوائد الآيات :

١- جزاء الله ووعيده الشديد للملحدين في آياته العادلين عن الإيمان والاستقامة عليه.

٢- عدم استواء نهاية الملحدين وفزعهم في النار مع نهاية المؤمنين المستقيمين وأمنهم في الآخرة.

٣- من أسماء القرآن الكتاب والذكر والتنزيل ومن صفاته العزة والمنعة والحق والتصديق والهيمنة على الكتب المنزلة.

٤- وحدة العقيدة والدعوة لدى رسل الله وما لاقوه من معارضة وإلحاد في آيات الله.

٥- تنويه الآيات بغفران الله وعقابه ليظل المؤمن بين الرجاء فلا ييأس أبداً، والخشية فلا يغفل أبداً.

٦- التـواء المشركين وطبيعتهم الجدلية بغير حق حتـى لو أتـوا خيراً محضاً لقالـوا : هلاّ كان فيه خير وشر !

٧- تسلية الرسول ﷺ بإطلاعه على ما لاقاه إخوانه الرسل من اختلاف أقوامهم وعنادهم وإلحادهم.

٨- تقرير مبدأ التبعة الفردية والاختيار عند الإنسان فمن عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها.

١- وضحي معاني الكلمات القرآنية التالية : (يلحدون ، عزيز ، أعجمياً ، لو ، لولا ، مريب ، ظلاّم) .

٢- ما موضوع هذا المقطع؟ وبماذا هدد الله الملحدين في آياته؟ وفي أي صورة جاء هذا التهديد؟

٣- ما المراد بالذكر ؟ وما خبر الكافـرين به ؟ وما ذكر المقطع من أسماء القرآن وصفاته؟ وما معنى عدم إتيانه الباطل ؟

٤- وضحي ما عرضه المقطع في :

(أ) تسلية الرسول ﷺ .

(ب) إلحاد المشركين في الآيات وجدلهم في القرآن ؟

٥- بِمَ وجه الله رسوله ﷺ في الرد على الملحدين ؟ وكيف يكون القرآن هدى لقوم وعمى على آخرين ؟

٦- ما الحكمة في تأجيل الله الفصل بين المختلفين في الكتب المنزلة ؟ وما مبدأ الحرية والاحتيار الذي قررته الآيات ؟

٧- اذكري ثلاث فوائد أفدتها من هذا المقطع مع شرح واحدة منها .

كفر المشركين بالساعة وحالهم في السراء والضراء

إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا
وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ
شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ
عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾
لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ
قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ
لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ
رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟
وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ
أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ
﴿٥١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم
بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ
ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ

﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٥٣ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ۝٥٤﴾

(سورة فصلت).

معاني المفردات :

الكلمة	معناها
الساعة	: يوم القيامة ، وعلمها معرفة شؤونها ووقت قيامها.
أكمامها	: الأكمام جمع كُم وهو وعاء الثمرة الذي يغطيها ، وفيه لغتان كسر الكاف وضمها.
آذنّاك	: أي أعلمناك ، ومن قولهم : آذَنَهُ يؤاذنه إذا أعلمه.
ظنوا	: الظن ترجيح أحد طرفي الشيء ، والمراد علموا وأيقنوا ، كما قال تعالى : ﴿ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴾ [الحاقة : ٢٠] .
محيص	: أي محيد عن العذاب ومهرب منه .
فَيَئُوس	: على زنة فَعول ، وهو المبالغ في اليأس ؛ الذي هو انقطاع الرجاء من حصول الخير .
قنوط	: بمعنى قانط، وهو الذي يظهر أثر اليأس عليه من الذلة والانكسار .
أذقناه رحمة	: أي آتيناه خيراً ونعمة وأصابه منا غنى ورزق .
هذا لي	: الإشارة إلى ما ناله الإنسان من رحمة الله ، والمعنى ظنه استحقاقه لها ، لرضا الله عن عمله وفعله.

لَلْحسنى : أي الكـرامة والمنزلة الحسنة ، والمراد الجنة وخير الآخرة كما نال النعمة والخير في الأولى.

نأى بجـانـبـه : أي بَعُدَ ، والمراد بالجانب نفس الإنسان والمعنى أنه تكبر عن الشكر وترفع عن الانقياد إلى الحق.

دعـاء عـريض : أي كثير مستمر ، ومن قولهم : أعرض في الدعاء إذا أكثر منه. والمراد دوام تضرعه حتى ينكشف عنه الشر.

أرأيتم : أي أخبروني ما رأيكم ؟ ماذا يكون عليه حالكم ؟

شِـقاق بـعـيد : مشاقة كبيرة للحق، ومعاندة مفرطة لطريق الهداية .

الآفاق : جمع أفق وهو الناحية والمراد أقطار السماوات والأرض وما فيهما . كالشمس والقمر والبرق والرعد والجبال والبحار وغيرهما.

أنه الحق : الضمير الموصول عائد على القرآن، أو الإسلام الذي جاءهم به محمد ﷺ.

في مـريـة من لقاء ربهم : في شك من بعثهم بعد موتهم وحساب ربهم لهم .

المعنى الإجمالي للآيات :

انتهى المقطع السابق برد الجزاء على الأعمال في الدنيا إلى يوم الآخرة، ويبدأ هذا المقطع بتقرير أن هذا اليوم ـ متى يكون ؟ وما أحواله وشؤونه وما يجري فيه ؟ كل ذلك ـ راجع إلى علم الله وحده ، كما يرجع إليه سائر الغيوب المستورة كخروج الثمار من أوعيتها وحمل الإناث ووضعهن، فكل ذلك وما يشبهه من الغيوب استأثر الله بإحاطته وعلمه الذي لا يَنِدُّ عنه خاف ولا مستور.

وبعد هذا التقرير السريع عن علم الله يُطلِـعُ الله الخلق على بعض ما يحدث في هذا اليوم حين ينادي

الله المشركين على رؤوس الأشهاد طالباً منهم ـ في تهكم ـ أن يحضروا الشركاء الذين أشركوهم مع الله في العبادة ، وليدعوهم اليوم ليدفعوا عنهم العذاب، فيجيبون سريعاً بالحق الذي أنكروه في الدنيا، ويرون أن لا أحد منهم يشهد اليوم أن هناك شريكاً ، بل لقد افتقدوا آلهتهم التي عبدوها في الدنيا في هذا الوقت العصيب الذي أيقنوا عدم خلاصهم منه بعد أن خذلتهم آلهتهم أحوج ما يكونون إليها في هذا اليوم.

وهكذا تكون خسارة المشركين في الآخرة وعدم احتياطهم لهذا المصير مع حرصهم في الدنيا على تحقيق الخير، وهنا يطلعنا الله على دقائق النفس البشرية وأحوالها عامة ، فالإنسان لا يملّ من طلب الخير فإن أصابه الشر أو الضر يئس وضجر وفقد الأمل في رحمة الله ورعايته، إلا مَنْ عصمهم الله بالإيمان ـ فإن رحم الله هذا البائس القانط وأعطاه من نعمه وخيراته واستخفه الرخاء وبطر وتعظم ونسي شُكرَ المنعم ، وزعم أن ما أصابه من خير إنما استحقه لفضل له أو علم ، أو بجدّ له واجتهاد ، بل بالغ في زعمه وغروره ـ وهو ينكر الساعة وقيامها وينسى الآخرة وأهوالها ، فيؤكد أن لو كانت حقاً ، ورجع إلى الله فلن يكون عند ربه في الآخرة أدنى مما كان عليه في الدنيا ، بل ستكون له المنزلة الكريمة والمرتبة العالية في جنته.

وهكذا يُودِي الغرور والظن الفاسد بأصحابه من الكفار ، فلا يفيقون إلا على التهديد المؤكد بإخبارهم يوم القيامة بأعمالهم القبيحة وظنونهم الفاسدة ومجازاتهم عليها بشديد العذاب وغليظ الإهانة والتحقير، ولا تلبث الآيات أن تعود إلى تقلب الإنسان مع الخير والشر وتذكر بما يكون عليه جنس هذا الإنسان مع النعمة والنقمة، فهو مع نعمة الله عليه وإحسانه يطغى ويستعظم على الله فلا يشكره، فإذا أصابه سوء أو مكروه تخاذل وتصاغر وأكثر من الدعاء والتضرع إلى الله كي يصرف عنه السوء والمكروه.

ومع انكشاف حال الإنسان هذا في حرصه على الخير وإشفاقه من الشر يجيء توجيه الله لرسوله ﷺ أن يسأل الكافرين المكذبين بالقرآن المنكرين للساعة ماذا هم صانعون إن كان ما أتاهم به محمد ﷺ هو من عند الله حقاً وقد كفروا به؟ ومن يكون أكثر ضلالاً منهم حينذاك ؟ ولم يحتاطوا لأنفسهم أدنى احتياط، بل عرّضوا أنفسهم لعاقبة التكذيب ومعاندة الحق والتواصي بعدم سماع القرآن واللغو فيه؟

وتختم السورة ـ أخيراً ـ بهذا الوعد المؤكد بإظهار الله للبشرية من الآيات والدلائل في الكون الفسيح، وفي داخل أنفسهم ما تتبين به وتتأكد أن ما جاء به محمد ﷺ حق صريح لا يحتمل جدالاً أو إلحاداً أو تكذيباً [1]، ويستنكر عليهم عدم اكتفائهم بشهادة ربهم وهو الذي يشهد كل شيء ويعلمه، ولكن أنَّى لهم ذلك وهم يمارون في لقاء ربهم وهو آكد من وجودهم، ويشكون في بعثه لهم وهو أهون عليه من خلقهم؟ فأين يذهبون إذاً بعد موتهم وقد أحاط الله بهم وبكل شيء علماً وقدرة؟ فلا مفر إذاً من بعضهم وحسابهم واستيفائهم جزاءهم على أعمالهم في الدنيا.

من فوائد الآيات :

١- إحاطة علم الله وشموله واستئثار الله بعلم الغيب كالساعة وبزوغ الثمار وحمل المرأة ووضعها وغير ذلك.

٢- غياب الشركاء في الآخرة وخذلانهم لعابديهم الذين تيقنوا من عذابهم في الآخرة وما نفعهم إقرارهم بالحق فيها.

٣- حب الإنسان للخير والاستكثار منه، ويأسه وضجره عند إصابته بضر أو بلاء إلا مَنْ عصمهم الله بالإيمان.

٤- بطر الكافر وتعاظمه على شكر الله إن أصابته نعمه وخيراته، وزعمه استحقاقه لها عن علم أو جدّ.

٥- اغترار الإنسان بالنعمة واعتقاده الفاسد بتميزه وفضله يؤديان به إلى الهلاك والخسران.

٦- طغيان الإنسان وتكبره حال الرخاء والنعمة وتصاغره وتذللـه حال الضرِّ والشدة.

---

(١) ولقد صدق الله وعده فمنذ صدور هذا الوعد من الله وهو يكشف للإنسانية في الآفاق والأنفس ما تقيم عليه حضارتها وتدين به لهذا الكشف، وتتأكد معه من حقية القرآن وما جاء به محمد ﷺ، وما يزال يكشف لهم في كل يوم عن جديد ويعرفهم الكثير عن هذا الكون ومادته، والأرض وطبيعتها، وظاهرها وباطنها، واستدارتها وحركتها، والشمس وجريانها، وحرارتها وطاقاتها، والنجوم وأجرامها، والمجرات واتساعها، ووحدة النظام الذي يربط هذا كله والسنة التي يجري عليها، ويعرفهم الكثير عن دقائق أجسامهم وأغوار نفوسهم وأسرار عواطفهم وطرائق تفكيرهم وإدراكهم وتآلف أو تناكر أرواحهم، وغير ذلك مما يتلقاه الإنسان من وعد الله وهو في طريقه إليه .

٧- أكثر الناس ضلالاً مَنْ كذَّبوا بالقرآن وتواصوا باللغو فيه وعدم استماعه ولم يحتاطوا لأنفسهم إن كان حقاً وصدقاً.

٨- كفاية شهادة الله على حقية القرآن وتحقق وعد الله بإظهاره الآيات في الكون والنفس لتأكيد هذه الحقيقة.

١- وضحي معاني الكلمات القرآنية التالية : (أكمامها ، محيص ، الحسنى ، نأى بجانبه ، شقاق ، الآفاق ، مِرْية) .

٢- ما موضوع هذا المقطع ؟ وما الساعة ؟ وماذا تعرفين من أمور تفرد الله بعلمها ؟

٣- لمَ لا ينفع المشركين إقراراهم بالتوحيد في الآخرة ؟ وما المراد بظنهم هناك ؟ وما الفرق بين اليَأس والقنوط ؟

٤- وضحي ما عرضته الآيات من أحوال الإنسان في سرائه وضرائه ؟ وما زعمُ الكفار حول حاليهم في الدنيا والآخرة ؟

٥- بماذا وُجِّه الرسول ﷺ في مواجهة المشركين ؟ وما وعد الله للبشرية ؟ وماذا تعرفين مما تحقق منه ؟

٦- ما الذي صرف المشركين عن شهادة الله على حقية القرآن وهي جِدُّ كافية ؟

٧- اذكري ثلاثة فوائد عرفتها من هذا المقطع مع شرح واحدة منها .

الفصل الدراسي الثاني

بين يدي السورة

(أ) اسم السورة :

تعرف هذه السورة بسورة «الشورى» أخذاً من اختصاصها بورود هذا اللفظ في الآية الثامنة والثلاثين منها ، كما تسمى ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾ وهو ما ورد عن ابن عباس وغيره قال : نزلت ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾ بمكة ، ولا يعرف لها في باب التسمية غير هذين الاسمين[1] .

(ب) تنزلات السورة ومكيتها :

نزلت سورة الشورى بعد سورة فصلت وتأتي في المرتبة الثانية والستين من حيث نزول سور القرآن الكريم، كما يأتي ترتيبها في المصحف الشريف من حيث التوقيف والتلاوة في المرتبة الثانية والأربعين.

والسورة في مجموعها مكية [2] كما دل عليه الأثر السابق عن ابن عباس وغيره ، إلا قوله تعالى : ﴿ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ . . . ﴾ [الآية : ٢٧] .

فنزلت في أصحاب الصفَّة بالمدينة ، وذلك أنهم قالوا : لو أن لنا ! فتمنوا الدنيا [3] وعدد آيات السورة ثلاثة وخمسون آية .

(ج) فضائل السورة :

لم يرد في فضل هذه السورة بعينها آثار غير ما ذكر من قبل في فضل « آل حم » عامة موقوفاً على بعض الصحابة كابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم.

---

(١) راجعي فتح القدير ٤/ ٥٢٤ ، وروح المعاني ٢٥/ ١٠ .

(٢) خلافاً لما نقل عن ابن عباس وقتادة : إلا أربع آيات منها من قوله تعالى : ﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا ﴾ فتح القدير ٤/ ٥٢٤، تفسير القرآن العظيم ٤/ ١١٢ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب وغيرهما عن عمرو ابن حريث ، ويشهد له ما أخرجه الحاكم وصححه عن عليّ بن أبي طالب ، راجعي المستدرك ٢/ ٤٤٥ ، أسباب النزول ص ٣٩٦ ، فتح القدير ٤/ ٥٣٧ .

(د) أهم موضوعات السورة :

تبرز في هذه السورة عامة من بين موضوعات العقيدة التي تعالجها السور المكية ـ موضوع الوحي والرسالة الذي تبدأ به السورة وتنتهي به، ويعرض على جانبه موضوع الوحدانية وبعض الدلائل عليها كتنزيل الغيث وخلق السماوات والأرض والفُلْك الجواري.

-١ وتعرض السورة لموضوع الوحي من جوانب مختلفة مثل حقيقته وأقسامه وكيفية إنزاله على الرسول ﷺ وحال الرسول قبل الوحي ومهمته في البلاغ ، ثم وحدة مصدر هذا الوحي واتفاقه لدى الرسل عليهم السلام في أصول العقيدة والشريعة.

-٢ ويتداخل موضوع الوحدانية بموضوع الوحي في بعض جوانبه كما نلحظه في عرض السورة له الذي يتمثل في وحدانية الخالق ووحدانية الرازق ووحدانية المتصرف في القلوب والمصير، ووحدانية الموحى ، ثم وحدة الوحي في العقيدة والشريعة في الجملة .

-٣ وتعرض السورة لموضوعات أخرى تتخلل هذين الموضوعين البارزين من مثل:

أ) قيادة الأمة المحمدية للبشرية بعد وقوع الاختلاف بين الأمم .

ب) حقيقة الساعة واليوم الآخر وبعض المشاهد فيهما.

جـ) صفات المؤمنين وأخلاقهم الحميدة، وأحوال الظلمة وأنواع من عقوباتهم.

د) حال الإنسان في السراء والضراء.

هـ) بسط الرزق وقبضه ومتاع الدنيا والآخرة وأنواع الذرية التي يمنحها الله لعباده.

و) استعجال المشركين للساعة وانقسام الناس يوم الجمع فريق في الجنة وفريق في السعير.

وحدة الوحي وصفات الموحي جل وعلا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حٰمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ
اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَّهُ مَا فِي السَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ
الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ السَّمَٰوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ
وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي
الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا
مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ
﴿٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ
حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي
السَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ
مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِ ۚ وَالظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾
أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَآءَ ۖ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَهُوَ
عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ
إِلَى اللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾

فَاطِرُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَٰمِ أَزْوَاجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾

(سورة الشورى).

معاني المفردات :

الكلمة	معناها
كذلك	: الكاف للتشبيه واسم الإشارة يشير إلى ما تضمنته السورة من موضوعات أُوحِي بها إلى الرسل عليهم السلام.
يوحي	: الوحي إعلام في خفاء ، والمراد إلقاء ما ينزله الله من القرآن على الرسول عن طريق جبريل عليهما السلام.
يتفطرن من فوقهن	: يتشققن ويتصدعن من الجهة التي فوقهن.
أولياء	: أعوان وأصحاب والمراد شركاء لله وأنداد.
حفيظ عليهم	: رقيب على أعمالهم وشهيد عليها.
أم القرى ومن حولها	: وهي مكة المكرمة بيت الله فيها، والمراد إنذار أهلها ومن حولهم من الناس في سائر بلاد العالم.

يوم الجمع : يوم القيامة الذي يجتمع فيه الخلائق ، كما قال تعالى :
﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ﴾ [التغابن : ٩] .

السعير : هي جهنم الموقدة والمستعرة بنارها.

أمة واحدة : الأمة الجماعة ، والمراد : الجماعة الواحدة على دين واحد.

أم اتخذوا : أم بمعنى بل التي هي للانتقال من معنى إلى آخر، وبمعنى الاستفهام الإنكاري.

أنيب : أي أرجع في جميع أموري.

فاطر : الفاطر الخالق المبدع والبارئ المنشئ .

من أنفسكم أزواجاً : خلق لكم من جنسكم نساء.

يذرؤكم فيه : يبثكم ويكثرُكم في هذا الجعل.

ليس كمثله : في المثل أقوال أصحها وأسلمها هنا أنه قائم مقام النفس كما يقال: مثلي لا يؤمر أي أنا ، والمعنى ليس شيء من المخلوقات مثله سبحانه لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله.

مقاليد : جمع مقلد، وهي خزائن السماوات والأرض أو مفاتيحها ، والمراد أن أزِمَّة أمور الخلق وأرزاقهم بيده.

يبسط ويقدر : أي يوسع الرزق لمن يشاء ، ويضيقه على من يشاء بحكمته وعدله التام.

المعنى الإجمالي للآيات :

تبدأ هذه السورة بالأحرف الهجائية التي تنطق بأسمائها هكذا « حاميم ، عين سين قاف » للتنبيه على أهمية ما يقال بعدها وأنه مصوغ من جنسها، وهو هذا الوحي والقرآن الذي أُوحي به إلى محمد ﷺ وتضمن من الموضوعات والأمور مثل ما ألقي إلى الرسل عليهم السلام عمن قبله وأُوحي إليهم

به من عند الله العزيز في ملكه والقويّ الذي لا يُغْلَب ، وصاحب الحكمة في قوله وفعله، فيوحي لمن يشاء بما يشاء كما تقتضيه عزته وحكمته ، لأن جميع ما في السماوات وما في الأرض ملك له وحده ؛ إذ هو المتعال في ملكه، والعظيم في علوه ، حتى توشك السماوات على عظمتها أن تتصدع من فرط استشعارها لعظمة الله، أما الملائكة من أهل السماوات فهم مدركون دائماً لهذه العظمة ، وهم دائبون في تنزيه ربهم عما لا يليق به ، ولا يفترون عن حمده وشكره، كما هم مشفقون على أهل الأرض فلا يملون الاستغفار لمن آمن منهم، وطلب التجاوز عن ذنوبهم فإنه كثير المغفرة يعطيها لمن طلبها مخلصاً من عباده المؤمنين ، كثير الرحمة فلا يحرم منها أحداً من خلقه [1] .

أما هؤلاء المشركون الذين اتخذوا لهم أعواناً عبدوهم من دون الله ـ وهو وحده الوليّ والمعين ـ فيخبر الله أنهم في قبضته ولن يفلتوا من عقابه وقد راقب أعمالهم وأحصاها عليهم، وأما أنت يا محمد فلست مُوَكَّلاً بأعمالهم أو ضامناً لهدايتهم، وإنما حسبُك ـ ومن معك من الدعاة ـ النصح والبلاغ والإرشاد ﴿ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ﴾ [النمل : ٨١] .

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ [القصص : ٥٦] .

وتعود الآيات إلى حقيقة الوحي ووحدته، فمثل إيحاء الله للرسل من قبل؛ أوحى إلى الرسول ﷺ القرآن عربياً واضحاً بلسان قومه ليفهموا ما فيه، ولينذر به أهل مكة ومن يقطنون سائر القرى والبلاد حولها، ينذرهم إن لم يؤمنوا بالعذاب الذي ينتظرهم ، كما يحذرهم يوم القيامة الذي لا شك في مجيئه والذي تجتمع فيه الخلائق عند البعث بعد طول شتات وتفرق على مدار الأزمنة واختلاف الأمكنة ليفرقهم من جديد في دار الحساب والجزاء ، فالمؤمنون وصالحو الأعمال في الجنة والنعيم القيم ، والكافرون وسيئو الأعمال في جهنم وعذابها القيم.

وتلك إرادة الله التي قضت أن يكون بعض خلقه في الجنة وبعضهم في السعير، ولو شاء لجعلهم جماعة واحدة على دين واحد ليتحد مصيرهم، ولكنه فاوت بينهم فهدى مَنْ شاء إلى الحق ليدخلهم في

(١) وسعت رحمة الله في الدنيا كل شيء حتى نالها الكافر بتأخير عقوبته إلى الآخرة التي يختص بالرحمة فيها المؤمنون انظري العقيدة الواسطية ص ٤٨ .

رحمته ، وأضل مَنْ شاء من الظالمين ليكونوا من الخاسرين في الآخرة ، ولا ينفعهم صاحبٌ أو معين ولا يدفع عنهم نصير؛ أو شريك إذ لا وجود لهؤلاء الأولياء آنذاك وقد اتخذوهم في الدنيا آلهة لهم من دون الله، ولأن الله هو الوليّ المستحق للعبادة دون شريك فهو القادر على إحياء الموتى وصاحب القدرة على كل شيء، فلا يقدر غيره على رفع العذاب عنهم.

ويعود سياق الآيات بالإشارة إلى الوحي ومصدره وضرورة الاحتكام إليهما عند الاختلاف بين الأمم، أو في شأن من شؤون الأمة ، كما قال تعالى : ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ [النساء : ٥٩] .

وها هو النبي ﷺ ـ وهو قائد الأمة ـ يعلن تحاكمه إلى ربه وتوكله عليه في جميع شؤونه ؛ فهو ربه وكافله الذي لا يصح اللجوء إلا إليه.

وكيف يلجأ إلى غيره ، أو يحتكم إلى غير كتابه ، وهو مبدع السماوات والأرض الذي خلق الخلق وجعل لهم أزواجاً من جنسهم لتمتد الحياة بهم ، وأجرى الحياة ـ بل أقام أصناف المخلوقات ـ وفق هذه القاعدة في الزوجية، كما نجدها في الأنعام وغيرها من المخلوقات التي تكاثر بهذه الزوجية ، ليتفرد وحده بالأحادية وبهذا التدبير والخلق الذي لا يماثله فيه شيء من خلقه ، كما لا يماثله أحد في صفات كماله وجلاله ، الثابتة له على ما يليق به والتي منها سمعُهُ لما يقال من خلقه ، وبصره بأعمالهم لا يخفى عليه شيء من ذلك ؛ إذ له وحدَه الملك والملكوت في السماوات والأرض ، وبيده وحده مفاتيح الأمور كلها وهو المتصرف في أرزاق العباد فيوسعها بفضله على مَنْ يشاء ، ويضيقها بحكمته على مَنْ يشاء فهو وحده العليم بما يُصلح عباده من بسط الرزق أو تقديره يفعل كل ذلك على مقتضى حكمته الكاملة وقدرته الواسعة وعلمه المحيط.

من فوائد الآيات :

١- وحدة موضوعات الوحي ومضموناته التي تنظم أصول الدين؛ عقيدة وشريعة عند جميع الرسل عليهم السلام.

٢- من صفات اللّه المذكورة في هذا المقطع العزة والحكمة والملك والعلم والعظمة والعلو والمغفرة والرحمة والإحياء والقدرة والإبداع والخلق والوحدانية والسمع والبصر والبسط والتقدير، كلها ثابتة للّه على ما يليق بجلاله، وكماله فلا مثل منها لشيء مما اتصف به الخلق منها ، ومن أسمائه هنا : العزيز ، الحكيم، العليّ، العظيم، الغفور، الرحيم، الوليّ، المحي ، القدير، السميع، البصير، العليم.

٣- استشعار المخلوقات خاصة السماوات والملائكة لعظمة اللّه وعلوه لا يشذ عنها إلا الغافلون والمشركون.

٤- مهمة الدعاة البلاغ لا ضمان هداية المدعوين ، فاللّه المالك لهم يحصي عملهم ولن يفلتوا من حسابه وعقابه.

٥- عموم رسالة محمد ﷺ لجميع أهل الأرض كما قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ ﴾ [سبأ : ٢٨] .

٦- اجتماع الخلق يوم القيامة بعد طول تفرقهم ، ثم انقسامهم إلى فريق في الجنة وهم المهتدون وآخر في النار وهم الضالون.

٧- اختلاف الخلق بمشيئة الله الأزلية ليدخل المهديين في رحمته ويعذب الضالين الظالمين بعدله وحكمته.

٨- مرد الفصل في اختلاف الأمم في الدين الصحيح إلى الله ، ومرد اختلاف الأمة في أمورها إلى كتاب الله وسنة نبيه.

٩- قيام الخلق ـ أحياء وغيرهم ـ على قاعدة الزوجية وتفرد الخالق بالأحدية: ﴿وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ﴾ [الذاريات : ٤٩] .

١٠- أرزاق العباد كلهم بيد الله يوسعها على بعضهم ويضيقها على غيرهم كما تقتضيه حكمته التامة وعلمه المحيط .

١- ما اسم هذه السورة ؟ وما عدد آياتها ؟ وما أبرز ما عرضت له من موضوعات ؟

٢- وضحي معاني الكلمات القرآنية التالية : (يتفطرن ، أمة ، يوم الجمع ، أنيب ، فاطر ، يذروكم ، مقاليد) .

٣- ما موضوع هذا المقطع ؟ وما معنى الوحي ؟ وما المقصود به هنا ؟ وما وجه اتحاده عند الرسل عليهم السلام ؟

٤- ما المعنى في افتتاح السورة بالأحرف الهجائية ؟ وما المشار إليه بقوله كذلك ؟

٥- بيني استشعار الخلائق علو الخالق وعظمته ؟ وما مهمة الدعاة ؟ وبماذا تهدد الله المتخذين أولياء من دونه ؟

٦- ما أدلتك على عموم رسالة الإسلام ؟ وما حكمة اختلاف الأمم في الدين الصحيح ؟ وإلى مَنْ يُرَدّ الحكم في ذلك ؟

٧- ما المرجع عند اختلاف الأمة في أمر يهمها ؟ وما القاعدة التي خلق الله الخلق عليها ؟ وماذا تدل عليه القاعدة نحو الله ؟

٨- ماذا تعرفين من صفات لله عرضها هذا المقطع ؟ وما الضابط الشرعي في فهمها ؟ وما معنى ليس كمثله شيء ؟

٩- اذكري أربع فوائد عرفتها في هذا المقطع ، اشرحي واحدة منها بالتفصيل .

﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ
إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ
وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ
يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا
تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ
سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ
أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ﴿١٤﴾
فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ
وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ
بَيۡنَكُمُۡۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ
لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۡۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٥﴾
وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ
دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ

﴿ ١٧ ﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ
لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿ ١٧ ﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ
أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿ ١٨ ﴾

(سورة الشورى) .

معاني المفردات :

الكلمة	معناها
شرع	: بيّن ، وسّنَّ لكم طريقاً واضحاً ، والمراد طريق التوحيد ودين الإسلام .
وصّى	: أمر وألزم .
أقيموا الدين	: حافظوا عليه واجتمعوا على أصوله وأحكامه .
لا تتفرقوا فيه	: لا تختلفوا فيه فتقيموا بعضه وتتركوا بعضه.
كَبُر	: عظم وشق على المشركين واشتد عليهم .
يجتبي	: يختار من الاجتباء وهو الاختيار.
بغياً	: تعدياً وظلماً ، أصله من البغي وهو تعدي الشيء وتجاوزه.
تفرقوا	: المقصود بضمير الجامعة في « تفرقوا » المفترقون والمختلفون من أتباع الرسل عامة [1] .

(١) فيدخل في هؤلاء أهل الكتاب كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴾ [البينة :٤] ، كما يدخل فيهم المشركون الذين كبر عليهم ما دعاهم إليه محمد ﷺ كما دلت عليه آية سورة الشورى.

الذين أورثوا الكتاب : أهل الكتاب الذين ورثوا التوراة والإنجيل عَمَّن سبقوهم.

شك منه : المشكوك فيه جنس الكتاب فيشمل التوراة والإنجيل والقرآن ، وقد شكوا فيها بعد نزول القرآن مهيمناً عليهم.

لا حجة بيننا : لا احتجاج بيننا ولا خصومة.

يحاجون : يجادلون ويخاصمون ، والمقصود بهم إما أهل الكتاب وإما المشركون.

داحضة : زائلة وباطلة لزيفها، أصله من الإدحاض وهو الإزلاق.

غَضَبٌ : الغضب صفة فعل لله تعالى لائقة بجلاله كاللعن والانتقام[1] .

الميزان : آلة الإنصاف والتسوية والمراد ما هو آلة له وهو العدل.

لعل الساعة قريب : جاء الخبر مذكراً لاعتبار معنى البعث أو الزمان في المبتدأ، ونظيره قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ . . . ﴾ [الأعراف : ٥٦] .

مشفقون : من الإشفاق وهو الخشية والوجل مع الخوف والاعتناء.

يمارون : يجادلون ويخاصمون في شك وريبة .

المعنى الإجمالي للآيات :

يبرز في هذا المقطع التأكيد على وحدة الوحي وتفصيل حقيقته التي شرعاه الله للمسلمين منذ فجر التاريخ، فقد بين الله لأمة محمد ﷺ أصول الدين وقواعد الشريعة، وشرع لهم ما وصيَّ [2] به الأمم السابقة على ألسنة رسلهم ؛ أولي العزم وذوي الشرائع السابقة كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام .

ويأتي الأصل الأول فيما شرع الله للأنبياء ، وهو إقامة الدين بالحفاظ على التوحيد، وعدم الاختلاف

(١) راجعي : روح المعاني ١/ ٩٥ ، العقيدة الواسطية وشرحها ص / ٥١ ـ ٥٢ .

(٢) خص الله ما شرع لمحمد بالإيحاء وذكر شرع الرسل بالوصية للتصريح برسالة محمد ﷺ .

في تحقيق أركانه أو الانحراف عن تكاليفه، ولكن المشركين ـ وقد كانوا يزعمون أنهم على ملة إبراهيم ـ شق عليهم أن يدعوهم محمد إلى الدين الصحيح، وصعب عليهم أن يتخلوا عن سلطانهم ، ومن هنا يعقب القرآن على موقفهم من اختيار محمد ﷺ للرسالة دون عظيم منهم ، فهذا فضل الله الذي يختار له من يشاء من عباده ويهدي إليه من يطيعه ويرجع إليه.

وتبين الآيات تفرع أتباع الرسل وهم على دين واحد، فتقرر أن افتراقهم لم يكن عن جهل منهم بوحدة الدين إنما كان ذلك التفرق منهم مُشاقَّةً لرسلهم وظلماً لأنفسهم وللحق سواء، وحرصاً على أهوائهم وشهواتهم، فاستحقوا العقاب على هذا كله، ولو لا كلمة الله السابقة وحكمه بإنظار الفصل بينهم وتأخير عقابهم إلى يوم المعاد، لعجل عقوبتهم في الدنيا وقضى بينهم فحق الحق وبطل الباطل، فأما الذين جاؤوا من بعدهم فقد تأثروا بهذا الاختلاف وتلقوا عنهم كتب أنبيائهم بغير يقين جازم، فأمسوا وأصبحوا وهم في حيرة بين مذاهبهم ، وشك فيما ورثوه من كتبهم.

ومن أجل هذا التفرق والشك ، واحتاج العالم إلى هداية جديدة ثابتة على الحق ، يجيء أمر الله لرسوله ﷺ أن يدعو إلى وحدة الدين واتفاق الكلمة، وأن يثبت على دعوته ويستقيم عليها كما أمره الله بها، وينأى عن أهواء المختلفين ومذاهبهم ، وأن يعلن للدنيا في صراحة ووضوح إيمانه بالرسالات والكتب السابقة، وقيامه بين الناس جميعاً بالعدل والحق، ولا تَمَيُّزُ عنده لطائفة عن أخرى، ثم يعلنهم بأساس ذلك وهو إخلاصُ العبادِ التوحيدَ لله ربه وربهم وتَحَمُّل كل منهم مسؤولية عمله وتبعة ما يقوم به في الدنيا، ومن ثَمَّ لا جدال بينه ومن معه من أهل الحق؛ وبين أهل الباطل، وإرجاع الفصل والقضاء بالحق فيما اختلفوا فيه إلى الله وحده الذي يجمع بينهم يوم القيامة جميعاً عندما يرجعون إليه.

أما الذين يجادلون في أمر هذا الدين بعد وضوح أصوله واتفاقه مع الأديان ـ ومن بعد استجابة أهل الإيمان للحق الذي يعلنه ـ فإن محاجتهم باطلة وفاشلة ، ولا ميزان لها في حساب الله إلا استحقاقهم غضب الله وعذابه الشديد في الآخرة ، ومِن ثَمَّ تعلن الآيات هنا إنزال الله لكتب أنبيائه مشتملة كلها على الحق الذي قامت عليه السماوات والأرض ، والعدل الذي انتظمت به أمور الخلائق، ولكن المجادلين المختلفين عموا عن الحق والعدل في كتبهم، وتناولوها بالتعديل والتحريف وهو ما يحاسبون عليه يوم يقوم الناس

١- وضحي معاني الكلمات القرآنية التالية : (شرع ، كبر ، يجتبي ، بغيا ، يُحَاجُّون ، داحضة ، مشفقون ، يمارون) .

٢- ما موضوع هذا المقطع ؟ وما الحكمة في اختصاص الرسل الخمسة بالذكر ؟ وما أهم ما شرعه الله لهؤلاء ووصاهم به ؟

٣- ما معنى إقامة الدين وعدم التفرق فيه ؟ وَمَنِ المتفرقون ؟ وما دافعهم لذلك ؟ وما الحكمة في إنظار الفصل بينهم ؟

٤- من الوارثون للكتاب؟ وما سبب شكهم فيه؟ وماذا تعرفين من ملامح الدعوة الإسلامية وأصولها ؟

٥- ما جزاء المجادلين في الله ؟ وكيف اختلف أتباع الرسل وبكتبهم الحق والعدل ؟

٦- ما موقف المنكرين للساعة والمؤمنين بها من وقوعها ؟ وماذا وراء موقف كل منهم ؟ ولِمَ كان المجادلون فيها في ضلال ؟

٧- اذكري ثلاث فوائد عرفتها من هذا المقطع ، مع شرح واحدة منها .

﴿ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ
﴿١٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن
كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِن
نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ
مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ
وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ
مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۗ وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَٰتِ ٱلْجَنَّٰتِ ۖ
لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾
ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ
أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ
لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ
كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ

بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ
عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾
وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ
وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ
لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ
خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟
وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ ﴾ (سورة الشورى).

معاني المفردات :

الكلمة	معناها
لطيف	: كثير اللطف وبالغ الرأفة .
حرث الآخرة وحرث الدنيا :	الحرث : الكسب، وأصله إلقاء البذرة في الأرض، والمراد ثمرات العمل للآخرة ، ومتاع الدنيا وما كسب العبد فيها.
كلمة الفصل	: الحكم والقضاء السابق من الله بإنظار عقابهم إلى يوم القيامة .
روضات	: جمع روضة وهي المكان النزه الكثير الخضرة، والمراد أطيب مساكن الجنة وأنزه بقاعها .
الفضل	: الزيادة في الخير والإكثار من النعيم.

أجراً : أي جُعلاً ونفعاً ، والعرف يخصه بالنفع المالي.

المودة في القربى : أي القرابة والرحم ، والمودة فيها وصلها ورعايتها ، أو هي من التقرب والعمل بالطاعة لله تعالى [1] .

يقترف : أي يكتسب من الاقتراف وهو الاكتساب .

افترى : كذب واختلق الكلام اختلاقاً وتقوَّلهُ من عنده.

يختم على قلبك : يطبع عليه بالخاتم ويغلقه.

يمح : يمحق ويزيل.

التوبة : الرجوع إلى الله بالإقلاع عن السيئات والندم عليها والعزم على عدم العودة إليها.

لَبَغَوا : لاعتدوا وظلموا ، أصله من البغي وهو التعدي والتجاوز عن الحد.

قنطوا : يئسوا ، يعني من نزول الغيب .

ويستجيب الذين : الاستجابة : الإجابة والمعنى يجيبهم الله ، فالموصول مفعول أو هو فاعل والمعنى يستجيبون للحق ، ولكلٍّ وجه.

المعنى الإجمالي للآيات :

انتهى المقطع السابق بتقرير حقيقة اليوم الآخر الذي أرجأ الله إليه عذاب المفترقين في الدين ، وتشير بداية هذا المقطع إلى أن هذا الإرجاء من لطف الله بعباده وكمال رأفته بهم، والذي منه تفضله بالرزق على جميع عباده ، فهو يرزق مَنْ يشاء توسعة وتضييقاً ؛ لأنه القادر فلا يعجزه شيء ، والغالب فلا يمنعه عما يريده شيء ، ويعطي عباده حسب أعمالهم ونياتهم ، فمن أراد الثواب في الآخرة وعمل لذلك وفقه الله

(١) روي عن ابن عباس في الصحيح أن المودة في القربى صلة ما بينهم وبين الرسول ﷺ من القرابة وأخرج أحمد عنه مرفوعاً أن المراد « أن يودوا الله ويتقربوا إليه بطاعته » ويجوز أن يكون المعنى : ما يدفع الرسول إلى إرشادهم إنما هو مودته لهم لقرابتهم منه « ولم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة » راجعي فتح الباري ٨/ ٥٦٤ ، الفتح الرباني ١٩/ ٢١، في ظلال القرآن ٥/ ٣١٥٣ .

لعمله، ولم يحرمه رزقه في الدنيا، ومن أراد بعمله حظوظ الدنيا أعطاه الله فيها ما قسمه له، ثم لا يكون له حظ ولا نصيب في الآخرة ينتظره هناك.

هذا مما سَنَّهُ الله وشرعه لكن المشركين ما كانوا على شيء منه، ومِن ثَمَّ يستنكر عليهم ما اتبعوه من خرافات شركائهم في دين الله، مِمَّا لا يرضاه من الشرك والمعاصي التي استحقوا عليها عقوبة الله، ولولا حكم الله السابق بإرجاء عقوبتهم لعاجلهم بذلك ـ ولكنهم لن يفوتوا ـ وأمثالهم ـ من عذاب الله الشديد الإيلام، جزاء على ظلمهم بما خالفوا عن شرع الله إلى شرع من عداه.

وهنا يعرض السياق مشهد الظَلَمَة يوم القيامة ـ وقد كانوا في الدنيا يستهزئون بها ويستعجلونها ـ وهم وجلون خائفون ، من ظلمهم وإعراضهم عن شرع الله وكسبهم الذي انقلب عذاباً واقعاً لهم ، وأما الذين آمنوا واتبعوا شرع الله وعملوا الصالحات فهم في الآخرة ـ وقد أشفقوا منها في الدنيا ـ آمنون في أطيب منازل الجنة وأنزلها متمتعين بمحاسنها ولذاتها، بل لهم عند ربهم ما يشاؤون بلا حدود ولا قيود، وهذا فضل الله ومَنُّهُ الذي يعرف وحده قدره وكنهه، وهو الفضل الذي يتولى الله ذاتُهُ البشارة به لعباده المستحقين له بإيمانهم وعملهم الصالح ، فهو لهم بشرى من الله في الدنيا، وهو حق واقع بهم عند الله في الآخرة.

وفي ظل هذا النعيم الذي دلَّهم رسول الله ﷺ على طريقه، ودعاهم إلى العمل له يوجه الله نبيه إلى إعلان أنه لا يطلب مقابل دعوته أجراً ، إنما دفعه إلى ذلك وُدّه إياهم وحدبه عليهم لأنهم أهله وذوو قرابته، وهذا شأن المحسنين الذين يحاسبون بالسماحة والفضل، فمن يعمل صالحاً أو حسنة يزده الله صلاحاً وحسناً، ويضاعف له ذلك عشراً فصاعداً؛ لأنه كثير المغفرة للسيئات ، وكثير الشكر على الحسنات.

ويعود السياق إلى موضوع الوحي فيستنكر عليهم ادعاءهم كذب محمد على ربه، ولو حاول ذلك ـ فرضاً ـ لطبع الله على قلبه وأغلقه فلا يستطيع الإدعاء والافتراء ، وكيف يكون قوله افتراء ويتركه الله وقد جرت سنته بإزالة الباطل وإحقاق الحق حسب علمه الشامل واطلاعه على ما تكنه الصدور والضمائر؟

وعند نفي هذه الشبهة عن صدق الرسول ﷺ يجيء ترغيب الله لهؤلاء الضالين وغيرهم من المذنبين

في رجوعهم إلى الله فبابه مفتوح لقبولهم والتجاوز عن معاصيهم وسيئاتهم ، وهو يعلم صدقهم في التوبة ويقبلها، كما يعلم ما سلف من سيئاتهم ويغفرها، فأما الذين آمنوا وصدقوا في إيمانهم وعملوا الصالحات فيستجيبون لداعي الحق ويقبلون على ربهم حيث يمنحهم كثيراً من فضله ويزيدهم في ثوابهم، وأما الكافرون الرافضون للتوبة بعد هذا الترغيب فليسوا أهلاً لفضل الله ، بل لهم العذاب الشديد الذي لا ينجو منه إلا من استجاب لله وأقبل على فضله، وفضل الله في الآخرة كبير ، فأما رزقه لعباده في الأرض فمقدر بما ينفعهم وما يعلمه الله من مصلحتهم فيه، ولو وَسَّعَهُ عليهم فزاده عن حاجتهم لحملهم على الطغيان والظلم في الأرض، ولكن الله ينزله بحكمة وتقدير، فهو الخبير بأحوال عباده البصير بما ينفعهم ويصلحهم من التوسعة في الرزق أو التضييق فيه، ومن هذا التقدير أنه ينزل المطر ليغيث وما يحصل به من الخصب والنماء؛ إذ هو الوليَّ الذي يتولى عباده بنفعهم والإحسان إليهم ، المستحق للحمد على رزقه ورحمته.

من فوائد الآيات :

١- من أسماء الله التي عرضها المقطع : اللطيف ، القوي ، العزيز ، الغفور، الشكور، العليم، الخبير، البصير، الولي ، الحميد.

٢- مَنْ عمل للآخرة وثوابها وفقه الله لمراده ولم يحرمه من رزقه في الدنيا، ومَنْ عمل للدنيا لم يعط غير رزقه فيها.

٣- التشريع ومنهج الناس في الحياة حق خالص لله لا يخالفه أ ويجترئ عليه إلا الظلمة المستحقون لعذابه.

٤- مقابلة القرآن بين مشهد الظلمة وعذابهم ومشهد المؤمنين ونعيمهم في الآخرة ترهيباً من الأول وترغيباً في الثاني .

٥- عدم طلب الرسل عليهم السلام أجراً على تبليغهم وهداية أقوامهم، ومضاعفة الله أجر المحسنين على إحسانهم .

٦- مجاراة القرآن للمشركين في ادعائهم افتراء محمد بالوحي لإبطال زعمهم وكشف كذبهم.

٧- قبول الله لتوبة التائبين وتفضله عليهم بالثواب العظيم، والرافضون للتوبة لهم من العذاب الشديد.

٨- تقدير الله لأرزاق العباد حسب مصالحهم ومنافعهم ولو بسطها فوق ذلك لاغتروا وطغوا في الأرض.

٩- من تقدير الله للرزق رحمته بعباده إنزاله الماء عند اشتداد الحاجة إليه وبعد اليأس من نزوله لإظهار حاجة العباد إلى الله .

١- وضحي معاني الكلمات القرآنية التالية : (روضات ، القربى ، يقترف ، افترى ، يمح ، التوبة).

٢- ما موضوع هذا المقطع ؟ وما المراد بلطف الله ؟ وما حكمة عدم ارتباط الرزق بالإيمان والكفر ؟ وما معنى الحرث ؟

٣- وضحي الحكمة من عدم حرمان من يعمل للآخرة من حظه في الدنيا وحرمان من يعمل للدنيا من ثواب الآخرة .

٤- ما الذي شرعه الشركاء للمشركين ؟ وما جزاء مَنْ اعتدى على حق الله في التشريع ؟ وما الحكمة في إرجاء عقابهم ؟

٥- وضحي عناصر تكريم الله للمؤمنين في الآخرة ؟ وبماذا وصفه الله ؟ وما حكمه مقابلة تكريمهم بإهانة الظالمين ؟

٦- ما حكمة عدم طلب الرسول ﷺ أجراً على تبليغه وهديه لأمته؟ وما جزاء المحسنين عند الله؟

٧- بمَ اتهم المشركون محمداً ﷺ ؟ وبماذا رد الله عليهم؟ وكيف رغب الله عباده في الرجوع إليه؟

٨- ما الفرق بين رزق الله في الدنيا وفضله في الآخرة ؟ ومَنْ المستحقون لفضله فيها ؟ وما حكمة إنزال الغيث بعد اليأس منه ؟

٩- اذكري ثلاث فوائد عرفتها في هذا المقطع ، مع شرح واحدة منها .

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن
دَآبَّةٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُم
مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾
وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن
وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾
إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ
عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن
مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ
خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ
يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ
﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ
بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ

يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ
فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ
بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ
يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ
عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤٣﴾

(سورة الشورى) .

معاني المفردات :

الكلمة	معناها
بث	: ذرأ الخلقَ وفرَّقهم ونشرهم.
دابة	: اسم لكل ما دب وتحرك .
معجزين	: أي فائتين من عقاب الله وعذابه.
الجوارِ	: السفن واحدتها جارية أي سائرة.
الأعلام	: جمع عَلَم وهو الجبل وكل شيء مرتفع.
رواكد	: أي ثوابت وسواكن لعدم حركة الريح التي تسيرها.
يوبقهن	: أي يهلكهن ويغرقهن بمن فيهن.
محيص	: أي محيد عن العذاب ومهرب منه.

على ربهم يتوكلون : يعتمدون على ربهم ، وتقدير المعمول على الفعل لإفادة الحصر وقصر التوكل على الله .

كبائر الإثم : الإثم واحد الآثام وهي الخطايا والذنوب، والكبائر منها وما توعَّد الله عليه، ومنها ما رتب عليه حدَّاً .

الفواحش : ما عظم قبحه من الذنوب التي وجبت فيها العقوبات كالقتل والزنا.

شورى : مصدر كالبشرى وهو المشهور، ومعناها مراجعة الآراء ومدارستها لتبيين الصواب منها قبل إبرامه.

سيئة : السيئة : الفعلة القبيحة ، وسميت عقوبتها باسمها ـ وهي مشروعة ـ مشاكلة لها ، أو لأنها تسيء من عوقب بها.

سبيل : السبيل في الأصل الطريق، والمراد اعتراض وجناح ، أو عقوبة ومؤاخذة.

عزم الأمور : عظائم الخصال التي لا تقوى عليها إلا ذوو العزائم كضبط النفس وكظم الغيظ سماحة واستعلاء.

المعنى الإجمالي للآيات :

يشرع هذا المقطع في سوق بعض الدلائل والآيات على كمال قدرة الله، ومنها خلقه تعالى للسماوات والأرض على كبرهم وعظمتهما، وما انتشر فيهما وتفرق من سائر الخلائق والعوالم المتحركة، وهذه العوالم المبثوثة في أرجاء الكون ـ وإن جهلها الإنسان ـ فالله العالم بها وحده قدير على جمعها جميعاً في صعيد واحدا إذا شاء الله ذلك [1] .

(١) يحدد كثير من العلماء وقت الجمع بأنه في الآخرة، وفي ذلك تقييد لمشيئة الله وهو خلاف ظاهر الآية وسياقها الذي يجري كله لإرشاد الخلق إلى دلائل قدرته ووحدانيته التي يتعظ الإنسان بها في الدنيا لا في عالم الحق، والله اعلم ، راجعي : هداية القرآن في الآفاق والأنفس ص ١٣٥.

وفي ثنايا الآيات يحدث الله عباده عما يصيبهم في الدنيا، ويضع لهم دستوراً إذا تأملوه أقلعوا عن آثامهم، فإن ما يصيبهم في الدنيا هو عقوبة من الله لهم على بعض ما اقترفوه من السيئات، وهو يعفو عن كثير منها فلا يؤاخذهم عليها، ويصور لهم عجزهم في تفادي ما يوقعه الله بهم وانعدام حيلهم في ذلك ؛ إذ ليس لهم ـ من معين أو نصير ، يدفع عنهم قضاء الله أو يساعدهم على تحمله.

ومن هذه الآيات والدلائل ، السفن التي تجري في البحر كالجبال، وهي ـ والبحر الذي تجري فيه ـ مسخرات بأمر الله ، وقائمة في تسخيرها على ما أودعه كونَـهُ من أسباب وسنن ؛ من بينها الريح التي لو شاء الله لأسكنها فظلّت السفن ثابتة على ظهر البحر قارَّة بغير حراك، وفوق ما في هذه السفن والبحار من آيات فإن في جري السفن فيها وركودها آيات أخرى يدركها من عوّد نفسه الصبر على الضراء، والشكر على السراء، فلا يجزع لركود السفن ولا يبطر أو يستخف بجريها، ولو شاء الله لهيَّج عليها الريح فأهلكتها، وأغرق مِنْ راكبيها مَنْ أغرق بما كسبوه واقترفوه ، وأنجى غيرهم بعفوه عن ذنوبهم وسيئاتهم، حتى يعلم المنازعون في آيات الله أنهم في قبضة الله ولا محيد لهم عن بأسه.

وتكشف الآيات عن سبب انصرافهم عن هذه الآيات وهو رغبتهم في الدنيا ومتاعها، وطلبهم للجاه والرياسة فيها، وكل ذلك متاع قليل وزخرف زائل، لا قيمة له إلى جانب ما عند الله من الخير الحق، والنعيم المقيم لعباده المؤمنين ، الذين فوضوا أمورهم إلى ربهم، فلم ينخدعوا بزخارف الدنيا، أو اعتمدوا على جاههم وسلطانهم فيها.

ويستكمل سياق الآيات صفات المؤمنين المستحقين لهذا الخير، ويوضح خصائصهم التي رشحهم له، فهم على طهارة تبعدهم عن قبائح الأفعال وفواحشها، وتطبعهم بالسماحة والمغفرة وكظم غيظهم وغضبهم على مَنْ ظلمهم، وهم مستجيبون دائماً لربهم استجابة مشهودة في حفاظهم على الصلاة، وإقامتهم لها، وفي تشاورهم في أمورهم ، لايبرمون رأياً قبل تعاونهم بآرائهم وتقليبها على وجوهها ، إنفاقهم من رزق الله وإحسانهم إلى غيرهم.

وهم بهذه الاستجابة لربهم أعزاء أقوياء على غيرهم، فإذا ما اعْتُدِيَ عليهم انتصروا لأنفسهم في عدالة واضحة، فلا يتجاوزون في عقاب السيئة حدود ما وقع بهم حقاً وعدلاً فمن تغاضى عن حقه بعد الاقتدار، وسامح المسيء ، فأصلح بذلك ما بينه وبين المعتدي فله الأجر الكبير والثواب العظيم عند الله، والعزة والمحبة في الدنيا والآخرة [1]، فإن الله لا يحب المعتدين في خصامهم ، المتجاوزين حدهم في انتقامهم.

وتؤكد الآيات هنا معاني العزة والعدل والعفو والإصلاح عند المؤمن، فالذي ينتصر بعد ظلمه ويجزي السيئة بالسيئة إنما يأخذ بحقه المشروع ، فلا يجوز لأحد الوقوف في طريقه، إنما يجوز ذلك ـ بل يجب ـ مع مَنْ يتجاوزون في الانتصار مِمَّن ظلمهم أو يبدأونه بالظلم، ومن يطغون ويتجبرون في الأرض، وتركُ هؤلاء وأمثالهم دون كفِّهم مفسدةٌ في الأرض وإشاعة للإرهاب والفوضى بين الناس ؛ ولهذا يتوعدهم الله ـ فوق كفِّهم وأخذ الطريق عليهم لعذابه الموجع الشديد الإيلام، ثم يختم هذا المقطع في صفات المؤمنين بتوجيههم إلى ضبط أنفسهم والاعتلاء بمشاعرهم ، وترغيبهم في الصبر على إيذاء غيرهم، وستر إساءتهم ومسامحتهم، وذلك عند مقدرتهم على الانتصار منهم، وحين يكون الصبر والسماحة من المؤمن استعلاءً وتجملاً لا استخذالاً وذلاً ، فذلك من عظائم الأمور التي يؤجرون عليها ويشكرون.

من فوائد الآيات :

١- في الآيات دليل على وجود حياة في السماوات موصوفة بدبيب صاحبها وحركته كما أن فيها دليلاً على إمكان جمع أصحاب هذه الحياة في الدنيا إذا شاء الله ذلك.

٢- ما يصيب الإنسان من الشدائد الدنيوية هو مع عقوبة الله له على بعض آثامه التي يعفو عن كثير منها.

٣- في جري السفن وركودها وهياج الريح وسكونها آيات وعظات يدركها الصابرون الشاكرون أكثر من غيرهم.

٤- انصراف الكثير من الناس عن آيات الله لانشغالهم بمتاع الدنيا القليل عما عند الله من الخير الكثير.

(١) قال ﷺ : « ما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً » أخرجه مسلم في كتاب البر ، باب استحباب العفو والتواضع ، عن أبي هريرة ، الصحيح ٤/ ٢٠٠١ ، وأخرجه الدارمي في فضل الصدقة ، السنن ١/ ٣٣٣.

٥- من صفات المؤمنين التي استحقوا بها الخير الدائم توكلهم على الله وإعراضهم عن الآثام وعفوهم عند الغضب ، واستجابتهم لربهم بإقامة الصلاة وتحقيق الشورى والإنفاق في الخير، ثم عزتهم وعدلهم وعفوهم وإصلاحهم.

٦- دعوة الإسلام إلى كف الظلم والأخذ على أيدي البغاة المفسدين في الأرض والعفو والسماح مع موقع العزة والاستعلاء.

١- وضحي معاني الكلمات القرآنية التالية : (بث ، دابة ، الأعلام ، رواكد ، يوبقهن ، فواحش ، عزم الأمور) .

٢- ما موضوع هذا المقطع ؟ وما الأوصاف المشتركة بين أحياء السماوات والأرض ؟ وما المعنى وراء الإخبار بإمكان جمعهما ؟

٣- ما الحكمة في عفو الله عن كثير من ذنوب الخلق؟ وما سبب مصائبهم في الدنيا؟ وما مدى قدرتهم في تفادي ما يصيبهم ؟

٤- وضحي معنى الآية ووجوهها في الفُلْكِ الجوارِ ؟ وأي الناس أكثر إدراكاً لذلك ؟ وما العبرة المأخوذة من هذه الآية ؟

٥- ما سبب انصراف الناس عن آيات الله ؟ وماذا ادخر الله للمؤمنين في الآخرة ؟ وما صفاتهم التي أهلتهم لذلك ؟

٦- متى يكون الانتصار من المخاصم مشروعاً ؟ ومتى يكون العفو أولى من العدل ؟ وما مظاهر استجابة المؤمنين لربهم ؟

٧- اذكري ثلاث فوائد عرفتها من هذا المقطع واشرحي واحدة منها .

صفات الظالمين وعقابهم عند الله

﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ
لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾
وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ
مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ
خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ
فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم
مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسْتَجِيبُوا۟
لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ مَا لَكُم
مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟
فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ
أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ
بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ ﴾

(سورة الشورى) .

معاني المفردات :

الكلمة	معناها
مردّ	: أي رجوع إلى الدنيا ، كما حكى الله عنهم في قوله : ﴿ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا ﴾ [الأنعام : ٢٧] .
خاشعين	: ساكنين هادئين لما لحقهم من الذل والهوان.
طرف خفي	: الطرف : العين ، والمراد نظرهم بعين ذابلة كسيرة تخفي نظرها.
مقيم	: أي دائم أبدي لا انقطاع له.
استجيبوا	: أي أجيبوا دعوة ربكم إلى ما فيه نجاتكم.
ملجأ	: أي حصن وملاذ تنجون به من العذاب.
نكير	: لا إنكار منكم اليوم لذنوبكم ولا منكر لعذابكم عليها.
فرح بها	: بطر لأجلها واستطار فرحاً.
سيئة	: المراد بها ما يصيبه من شدة أو بلاء أو مرض ونحوها.
كفور	: كثير الكفر للنعم والجحد لها، فلا يذكر غير ما أصابه وساءه.

المعنى الإجمالي للآيات :

يعرض هذا المقطع صفات الظالمين وما ينتظرهم من ذل وخسران ، في مقابل ما عرضه المقطع السابق من صفات المؤمنين وما ادُّخر لهم من الخير الدائم والنعيم المقيم ، فهؤلاء الذين أضلهم الله ـ بما علم من استحقاقهم للضلال ـ لا هادي لهم من بعد إضلاله ، ولا ناصر لهم من جزائه الواقع بهم حيث يُرون في غاية الذل حين يعاينون العذاب ، متمنين رجوعهم إلى الدنيا ويسألون إن كانت هناك بارقة أمل

لتحقيق أمنيتهم أو خلاصهم من عذابهم، وهم يُعرَضون على النار منكسي الرؤوس من الذل والعار ، مختلسي النظر من الهوان والانكسار.

ويزاد في ذلِّ هؤلاء هوانهم؛ فيعلنون بخسارتهم الكبرى على لسان المؤمنين ؛ ويا لها من خسارة وغبن فادحين فقد خسروا أنفسهم بدخولهم النار، كما خسروا أهليهم فلم يلحقوا بهم في جنتهم، وحيل بينهم وبين ما نعم به أهلوهم، ثم يُعلَنون أخيراً من قِبَل الله أنهم إلى الأبد ماكثون في هذا العذاب، فقد عدموا اليوم الأعوان والأنصار، وافتقدوا الأولياء والأحباب، فلا ولي اليوم غير الله ولا نصرة إلا لمن هداهم، فأما هؤلاء الذين أضلهم الله فليست لهم نصرة ولا سبيل لهم على الجنة في الآخرة.

وفي ظل هذا العَرض لجزاء الظالمين يحذرهم الله ويدعوهم إلى النجاة بأنفسهم والاستجابة لربهم بتصديق نبيه ﷺ واتباع ما جاء به قبل أن يفجأهم هذا اليوم فلا يجدوا لهم ملاذاً يلوذون به أو ناصراً ينصرهم من هذا العذاب ، ويستنكره بهم، ويوجه الله رسوله ﷺ أن يدعهم وشأنهم ولا يأسى عليهم إن أعرضوا عن دعوته ولم يستجيبوا لهذا التحذير ، إذ لم يرسله ربه جل وعلا وكيلاً بهم أو كفيلاً بهدايتهم، وما عليه إلا تبليغهم ـ وحسب ـ بما أمر بتبليغه ، كما قال تعالى :

﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ [البقرة : ٢٧٢].

﴿ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ﴾ [الروم : ٥٣].

ويختم هذا المقطع بكشف طبيعة هذا الإنسان وغريزته التي تدفعه إلى العناد وعدم الاستجابة لداعي الهدى، فإذا أعطاه الله من الخير والرخاء وعمّه بنعمته ورحمته استطار وبطر، فإن حرم شيئاً من ذلك هو وأمثاله أو أصابتهم المحن والبلايا بما عملوا من القبائح والسيئات جزع مما أصابه ، ونسي ما أعطي من الخير والرخاء ، وكفر بأنعم الله عليه.

من فوائد الآيات :

١- مقابلة القرآن بين صفات المؤمنين ونعيمهم في الآخرة ، وصفات الظلمة الضالين وجزائهم فيها ترغيباً وترهيباً.

٢- مِن جزاء الله للظلمة الضالين ذلهم وهوانهم وانكسارهم وحسرتهم وهم يسألون رجوعهم إلى الدنيا.

٣- خلود أصحاب النار في عذابهم لا فِكاكَ لهم منه، وقد عدموا أهليهم وأولياءهم وأنصارهم.

٤- إعذار الله للظالمين الضالين بدعوتهم إلى الاستجابة لأمره، وقَصْر مهمة الرسول على التبليغ دون الهداية.

٥- من طبيعة الإنسان غير المؤمن الجزع من الضراء والشدة واستطارته بالسراء والنعمة وعدم شكره عليها.

١- وضحي معاني الكلمات القرآنية التالية : (مَـردّ ، طـرف خـفي ، مقيم ، ملـجأ ، نكـير ، سيئة ، كـفور) .

٢- ما موضوع هذا المقطع ؟ وما سبب إضلال الله للظالمين ؟ وما أمنية هؤلاء في الآخرة ؟ وكيف عرضوها ؟

٣- ما مظهر خسران الظالمين في الآخرة ، وما حكمة عدم اجتماعهم بأهليهم ؟ وهل هناك نهاية لعذابهم أو من يخلصهم منه ؟

٤- بِمَ أعذر الله الظالمين من يوم القيامة ؟ وما وظيفة الرسول ﷺ تجاه أمته ؟ وماذا تعرفين من طبيعة غير المؤمن ؟

٥- اذكري فائدتين عرفتهما في هذا المقطع واشرحيهما .

هبة الله من الذرية وطبيعة اتصاله برسله

﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ ﴾ (سورة الشورى) .

معاني المفردات :

الكلمة	معناها
يهب	: من الهبة وهي العطية والمنحة .
يزوجهم	: أي ينوع ما يهب من الذرية فيجعلهم ذكراناً وإناثاً .

عقيماً : العقم في الأصل القطع ، والمراد من لا يعقب الولد ولا يكون له نسل، ويوصف به الرجل والمرأة.

وحياً : الوحي : إعلام في خفاء يقظة أو مناماً، والمراد هنا القذف في القلب كوحي الله لأم موسى ولإبراهيم بذبح ابنه .

حجاب : الحجاب: الستر يكون مادياً مما يعلمه البشر وغير مادي مما يعلمه الله وحده.

روحاً : الروح ما تكون به الحياة في الأحياء، والمراد هنا القرآن، ففيه الحياة والهداية من موت الكفر والضلالة.

الكتاب : المراد إما الكتابة والقراءة أو القرآن نفسه الذي أوحي به إليه، والأول أولى وأدخل في باب الإعجاز.

الإيمان : المراد تفاصيل الإيمان، وكان ﷺ قد سمع ـ وحسب ـ بالإيمان وأهل الكتاب.

نَهْدي به .. لتَهْدِي إلى : الهداية من الله إنشاؤها في القلوب ومن الرسول ﷺ التبليغ والدلالة عليها .

صراط مستقيم : الطريق غير المعوج ، والمراد : الإسلام الذي شرعه الله للعباد.

المعنى الإجمالي للآيات :

اختتم المقطع السابق بإسناد مَنح الخير والنعم والحرمان منهما إلى الله تعالى ويبدأ هذا المقطع ببيان أساس ذلك وأنه حق الله وحده المالك للسماوات والأرض ، المتصرف فيهما بما يشاء فلا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع ، فهو يخلق ما يشاء ويختار ، فيمنح مَنْ يشاء الإناث من الذرية ، ويعطي غيرهم الذكور ، ويهب لمن يشاء من الصنفين ذكوراً وإناثاً ، ويحرم مَنْ يشاء من ذلك فيجعله عقيماً لا ولد له ، إنه العليم بما يتناسب من هذه الأقسام مع مَنْ قدرها له ، وهو وحده البالغ القدرة في تنفيذها وفق علمه وحكمته [1] .

(١) لم يخرج الأنبياء عليهم السلام عن هذه القاعدة في هبة الذرية فقد وهب لوط البنات ووهب إبراهيم البنين ووهب محمد ﷺ البنات والبنين ومنهم من لم يولد له كيحيى وعيسى عليهم السلام جميعاً . ذكره البغوي في معالم التنزيل ٦/ ١٢٨ .

ومن مِنحَ الله وعطاياه اختياره لبعض عباده واصطفاؤهم لتلقي وحيه الذي تذكره الآيات في ختام السورة لتكشف لنا عن حقيقته وعن صفة وحي الله إلى رسله عليهم السلام، وكلامه للمختارين من عباده ، فإما أن يشعر المختار والمصطفى من عباد الله بمعان تلقى في قلبه مباشرة، أو رؤيا يراها في منامه فيعرف أنه وحي الله له، كما نفث في روع رسول الله ﷺ أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها[1]، وكما وقع لإبراهيم من رؤيا ذبح ابنه عليهما السلام ، وأما أن يسمع كلاماً لا يرى المتكلم به فيعرف أنه كلام الله له من وراء حجاب كما وقع لموسى عليه السلام ، وإما أن يرسل الله لعبده رسولاً ملكاً ليوحي له بإذن الله ما يشاء ، كم كان ينزل جبريل على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في أية صورة يرسله الله بها؛ لأنه العليّ المتعال عن صفات المخلوقين الحكيم في أفعاله فيوحي إلى من يشاء من عباده ، على نحو ما تقتضي حكمته .

وتقرر الآيات أن إيحاء الله لرسوله ﷺ قد تم بمثل هذه الطريقة ، حيث بلغه الله جل وعلا من أمره ما أحيا به القلوب من هذا القرآن والذكر الحكيم ، وما كان رسول الله ﷺ يعلم قبل ذلك الوحي كتابةٌ أو قراءةً ، أو يعني لفظ الكتاب ، كما لم يكن يعلم شيئاً من تفصيلات الإيمان والشرائع التي سمع به كما سمع غيره ، ولكن الله أطلعه بالوحي على أصول الإيمان وفروعه ، وأضاء قلبه وروحه بهذا القرآن الذي جعله ضياء وهدياً لمن يشاء من عباده ، وجعل رسوله ﷺ هادياً لغيره بهذا النور ، ومرشداً إلى دين الله الصحيح وطريقه القويم الذي تلتقي عنده مسالك المخلوقات في مسيرها إلى الله واتجاهاً إليه ؛ إذ هو المالك لها ولكل ما في السماوات وما في الرض ، المتصرف فيها بحكمته وتقديره ، والمنتهية إليه أمورهم وعواقب شؤونهم ، فيقضي فيها بأمره وحكمه.

من فوائد الآيات :

١- ملكية الله السماوات والأرض وتصرفه المطلق فيهما بالمنح والمنع ولا معقب لحكمه ولا راد لمشيئته.

(١) راجعي تفسير القرآن العظيم ٤/ ١٢١.

٢- منح الله الذرية للناس إناثاً أو ذكوراً وذكوراً أو الحرمان منها وفق علمه وحكمته وقدرته الشاملة.

٣- تكليم الله لرسله إما بالوحي أو من وراء حجاب أو إرساله لملك من الملائكة.

٤- لم يكن ﷺ قبل بعثه على دراسة بالقرآن والكتاب والقراءة أو معرفة بأحكام الإيمان وتفاصيله.

٥- هداية الله من يشاء مِنْ عباده ـ مِمّن أخذ بأسبابها ـ هداية دينية قلبية، وهي من رسوله ﷺ دلالية وإرشادية .

٦- من أسماء القرآن الكريم التي ذُكرت في هذا المقطع الوحي والروح والنور.

١- وضحي معاني الكلمات القرآنية التالية: (يهب، يزوجهم، عقيماً، حجاب، روحاً، الصراط).

٢- ما موضوع هذا المقطع ؟ وما أظهر وجوه هبة الله للناس ؟ وما حكمة ذلك ؟ وما علاقة منح الذرية باختيار الرسل ؟

٣- ما حكمة ذكر الوحي بختام السورة ؟ وما أحوال تكليم الله رسله ؟ وماذا تحقق منها لمحمد ﷺ ؟

٤- ما المراد بالكتاب والإيمان في الآيات ؟ وما معنى عدم دراسة الرسول ﷺ بهما ؟ وما معنى أن القرآن روح ونور ؟

٥- وضحي معنى الهداية المسندة للرسول ﷺ وعلاقة ذلك بقصر وظيفته على البلاغ كما جاء في المقطع السابق ؟

٦- اذكري فائدتين عرفتهما في هذا المقطع واشرحيهما .

بين يدي السورة

(أ) اسم السورة :

تعرف هذه السورة بسورة « الزخرف » أخذاً من ورود هذا اللفظ بالآية الخامسة والثلاثين منها، وقد جاءت تسميتها بهذا الاسم في قول ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت سورة حم الزخرف بمكة [1].

(ب) تنزلات السورة ومكيتها :

نزلت سورة الزخرف بعد سورة الشورى وتأتي في المرتبة الثالثة والستين من حيث نزول سور القرآن الكريم ، كما يأتي ترتيبها في المصحف الشريف من حيث التوقيف والتلاوة في المرتبة الثالثة والأربعين .

والسورة في مجموعها مكية كما روي ذلك عن ابن عباس في الأثر السابق وما أُثر عنه من نزول آل حم السبع جميعاً بمكة، وقد نقل القرطبي وغيره إجماع العلماء على مكيتها .

وعدد آيات السورة تسع وثمانون آية .

(ج) فضائل السورة :

لم يرد في فضل هذه السورة بعينها آثار غير ما ذكر من قبل في فضل « آل حم » عامة مما جاء عن بعض الصحابة موقفاً كابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم ، وقد روى عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجاً إلى سفر كبَّر ثلاثاً ثُمَّ قال : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴾ [2] [الزخرف : ١٣-١٤].

---

(١) راجعي فتح القدير ٤/ ٥٤٦ .

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد ـ باب ما يقول الرجل إذا سافر . راجعي : بذل المجهود ١٢/ ١٠٠.

(د) أهم موضوعات السورة :

تبرز في هذه السورة عامة من بين موضوعات العقيدة التي تعالجها السور المكية- نقاشها لخرافات المشركين واعتقاداتهم الباطلة وإحلال الحقائق والمعتقدات الصحيحة محلها والاستشهاد لذلك بقصص بعض الأنبياء عليهم السلام، ثم الاستدلال على وجود الله ووحدانيته ببعض آياته ونعمه على الإنسان.

-١ ويظهر علاج السورة لهذا الموضوع البارز في الأمور التالية:

أ) تصحيح تناقض المشركين في إقرارهم بخلق الله للسموات والأرض وعدم إفرادهم إياه بالألوهية.

ب) تصحيح معتقدهم الباطل في أن الملائكة بنات الله وشبهتهم في عيسى عليه السلام وعبادة قومه له.

جـ) تصحيح زعمهم الفاسد أنهم على دين إبراهيم عليه السلام وإظهار براءته من الشرك الذي هم عليه.

د) علاج حقدهم على محمد ﷺ واستهزائهم به واستكثارهم فضل الله عليه بالنبوة ونزول القرآن.

وإلى جانب هذا الموضوع البارز تعرض السورة لموضوعات أخرى مثل :

-٢ وصف القرآن الكريم وما فيه من شرف وإعلاء لذكر الرسول ﷺ وقومه.

-٣ تعزية الرسول ﷺ عن شرك قومه وتمسكهم بتقليد الآباء والأجداد في معتقداتهم الباطلة .

-٤ وصف نعم الله على الإنسان في الدنيا وآياته على قدرته ووحدانيته .

-٥ وصف نعيم الله للمؤمنين وعذابه للكافرين في الآخرة.

-٦ استعلاء فرعون وقومه على التوحيد والحق.

-٧ تنزيه الله سبحانه وتعالى والتعريف ببعض صفاته.

تعريف الناس بكتاب ربهم ونعمه عليهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حٰمٓ ﴿١﴾ وَالْكِتَٰبِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا
لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ الْكِتَٰبِ لَدَيْنَا
لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا
أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى
الْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ
﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ
﴿٨﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ
خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ
مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾
وَالَّذِى نَزَّلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا
كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَالَّذِى خَلَقَ الْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ
لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ

﴿ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ
الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا
لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ (سورة الزخرف) .

معاني المفردات :

الكلمة	معناها
والكتاب	: المراد به القرآن الكريم ، والواو للقسم وجواب القسم جملة ﴿ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ .
أم الكتاب	: أي أصل الكتب المنزلة ، والمراد اللوح المحفوظ .
أفنضرب عنكم الذكر	: الإضراب : الترك ، والمراد إمساك القرآن، وترك تذكيرهم به.
صفحا	: إعراضاً وإهمالاً ، وهو مفعول مطلق لنضرب من غير لفظه كقول القائل : قعدت جلوساً .
مسرفين	: مبالغين في كفرهم ومنهمكين في توليكم عن الحق.
بطشاً	: قوة وجلداً، كقوله تعالى حكاية عنهم : ﴿ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً . . . ﴾ [فصلت : ١٥]
مثل الأولين	: وصفهم وخبرهم وقيل: عقوبتهم والعبرة بهم ، والمراد هلاكهم مثل هلاك الأولين .
مهداً	: أي ممهدة لحياة الإنسان كتهيئة موضع فراش الصبي.

بقدر : بمقدار ما تنصلح به حياة الناس.

أنشرنا به بلدة ميتاً : أحيينا به ، يدل عليه وصف البلدة بالموت ، والمراد بإحيائها : إخراج النبات منها .

الأزواج : الأنصاف المتقابلة من المخلوقات القائمة على الزوجية كما في قوله تعالى : ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾ [الذاريات : ٤٩] .

الفلك : السفن الجارية على الماء ، ويطلق على الواحد والجمع سواء.

لتستووا : لتتمكنوا وتستقروا .

مقرنين : مستطيعين وقادرين على تذليله ، وقيل: مماثلين في القوة .

منقلبون : راجعون وصائرون

المعنى الإجمالي للآيات :

تفتتح السورة بحرفي الهجاء « حا » ، « ميم » للتنبيه على أهمية ما يقال بعدها ويصاغ من جنسها وهو هذا الكتاب الكريم، المبين لطريق الهدى والحق، والذي أقسم الله به على الغاية من جعله عربياً بلسان مَنْ نُزِّل عليهم حتى يفهموه ويعقلوا معانيه ، ويستطيعوا حمل رسالته والقيام بها في العالمين ، وهو عند الله وفي ملئه الأعلى، رفيع القدر محكم النظم مشتمل على أسرار سعادة البشر، الذي قضت إرادة الله عدم صرف الذكر عنهم ليهتدي به المهتدون، وتقوم الحجة به على الضالين.

ويسلي سبحانه وتعالى رسوله ﷺ على تكذيب قومه، بما ذكره من أحوال الأمم السابقة الذين أرسل إليهم كثيرٌ من الأنبياء، وما نجا واحد منهم من سخرية قومه واستهزائهم به ، فماذا ينتظر هؤلاء المكذبون والمسرفون من قوم محمد ﷺ إلا أن تمضي فيهم سنة الله، ويهلكهم كما أهلك المكذبين الأولين ، وقد كانوا أقوى وأشد منهم قوة فلم تغن عنهم قوتهم شيئاً ، بل مضى هلاكهم عند السابقين عبرة لمن يعتبر منهم فلا يسلك سلوكهم.

ويشرع سياق الآيات في كشف تناقض المشركين وتصحيح تصورهم عن الله فهم يعترفون بوجود الله حيث تسألهم عمَّن خلق السموات والأرض، ويقرون في صراحة: أن قد خلقهن الله [1] ـ القوي في سلطانه ، العليم بهن وما فيهن ـ ولكنهم بأفعالهم لم يخلصوا له التوحيد، بل جعلوا له شركاء من خلقه ، ومن ثَمَّ يُعَرِّفُهُم القرآن بصفات ربهم الحقيقية التي تتفق مع خلقه للسموات والأرضِ وتصريفه لشؤونهم ، فالعزيز العليم هو الذي هيأ الأرض وأعدها لإقامتهم عليها ، وجعل فيها السبل الكثيرة لطلب معايشهم، ومعرفة عناية الله بهم ورعايته لهم.

وهو الذي نزل الماء من السماء بقدر موزون وحساب دقيق يتحقق به نفع العباد، وتحيا به البلاد فتزدهر بالنماء والزرع ، بعد أن كانت جرداء ميتة لا نبات فيها ولا حياة، ومثل هذا الإحياء يخرج الله العباد من الأرض وينشرهم كما أحياهم ونشرهم أول مرة .

وهو الذي خلق المخلوقات كلها أزواجاً مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون من سائر ما تخفى فيه هذه الزوجية وسهَّل لهم ما يركبونه من الفلك التي تجري في البحر ، أو الأنعام التي تسير في البر، وهم مستعلون على ظهورها في استقرار وأمان، مستشعرون لهذه النعمة حيث تلهج ألسنتهم بما علمهم الله من ذكره في هذا المقام والاعتراف بنعمته قائلين :

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴾ [2] .

وما أجَلَّها من نعمة لا قدرة لأحد على الشكر الذي يكفائها غير ما علمه الله من ذكره واستشعار نعمته، وتذكر العود والرجوع إليه حتى لا يجزع إن ألمّ به مكروه في ركوبه، أو كان مركبه سبباً في هلاكه.

من فوائد الآيات :

١- قسم الله بالقرآن المبين للحق للدلالة على عظمته وعظمة الرسالة التي يحملها ولله أن يقسم بما شاء ، أما العبد فلا يقسم إلا بأسماء الله وصفاته .

---

(١) كما حكى الله عنهم في قوله : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [الزمر : ٣٨] .

(٢) مثل هذا قولهم عند ركوب السفينة : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِاهَا وَمُرْسَاهَا ﴾ [هود : ٤١] ، وعن دخول المنازل ﴿ رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴾ [المؤمنون : ٢٩].

٢- غاية نزول القرآن بالعربية فَهْم أهلها له وقيامهم بنشره وإعلاء كلمة الله ودينه بين الناس كافة.

٣- تشريف الله للعرب بإنزال القرآن بلغتهم ورفع ذكرهم به مع إسراف كثير منهم في إهمال تعاليمه.

٤- حال الرسول ﷺ مع مكذبيه هو من أحوال الأنبياء مع أقوامهم الذين أهلكهم الله لتكذيبهم.

٥- تناقض المشركين في إقرارهم بوجود الله وسلبهم حقه في العبودية والوحدانية وصفاته الفعلية المؤثرة في خلقه .

٦- من صفات الله الفعلية مَهْده الأرض وتذليل سبلها وإنزال الماء وإحياء الموتى وتذليل مراكب الناس في الدنيا .

٧- قيام المخلوقات على قاعدة الزوجية الواضحة في الأحياء، وقد علم ذلك أخيراً في الجماد من الذرات حتى كبريات النجوم في المجرات.

٨- تعليم الله لعباده كيفية ذكره عند ركبوهم الأنعام وما في معناها بقولهم : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴾.

١- ما اسم السورة؟ وماذا تعرفين من فضائلها. وما أبرز ما عرضت له من موضوعات؟

٢- وضحي معاني الكلمات القرآنية التالية : (مسرفين ، بطشاً ، مهدا ، أنشرنا ، سخر ، مقرنين، منقلبون).

٣- ما موضوع هذا المقطع؟ وما الكتاب المقسم به؟ وما جواب القسم؟ وما الحكمة منه؟ وما المراد بأم الكتاب؟

٤- اشرحي بأسلوبك قوله تعالى: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ مع بيان ما يستفاد منها .

٥- ما الحكمة في ذكر أحوال السابقين مع أنبيائهم؟ وماذا كانت نهايتهم؟ وفيم كان تناقض المشركين؟ وما مظاهر ذلك؟

٦- ماذا تعرفين من صفات الله الفعلية؟ وما الغاية من مَهْدِ الأرض ، وتنزيل الماء بقدر؟ وما العبرة من إحياء البلدة الميتة؟

٧- ما القاعدة في خلق الله للأشياء؟ وما وجوه النعمة في تسخير الفلك والأنعام وما في معنيهما؟ وما الأدب الواجب معها؟

٨- اذكري ثلاث فوائد عرفتها في هذا المقطع ، مع شرح واحدة منها .

﴿ وَجَعَلُوا لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ
لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم
بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا
ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى
ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ
ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ
شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُمْ ۗ
مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ
كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓا۟
إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾
وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ
إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾
قُلْ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟
إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ (سورة الزخرف) .

معـــاني الـمـفـــــردات :

الكلمـــة	مـعـنـــــاهـــا
جزءًا	: أي ولداً، لأم الولد جزء أبيه، والمراد الملائكة؛ إذ قال المشركون عنهم: أنهم بنات الله.
أصفاكم	: اختصكم وآثركم واختار لكم.
ما ضَـرَب	: أي ما جعل، والمقصود باسم الموصول « ما » البنات اللاتي نسبوهن إلى الله.
ظل مسوداً	: أي صار كذلك ، وعَلَته كآبة وغمة .
كظيم	: ممتلئ غيضاً وكرْباً وكاتم لنفسه عن إظهاره.
ينـشؤ في الحليـة	: أي ينشأ ويربى في الزينة والدعة والنعومة ، والمقصود به الإناث.
غير مبين	: غير مظهر لحجته في الجدال والنقاش.
يخرصون	: يكذبون ويختلقون الحجج اختلاقاً.
به مستمـسكون	: متمسكون بما فيه من حق ومستندون لما فيه من دليل.
أمة	: الأمة تطلق على معان ، والمراد هنا الطريقة الخاصة والدين المتبع.
مترفوها	: أغنياؤها ورؤساؤها المطاعون ذوو الترف والنعمة.
مقتدون	: متبعون وسالكون لطريقتهم.
فانتقمنا	: الفعل الماضي من الانتقام وهو إنزال أشد العذاب بمن يستحقه .

المعنى الإجمالي للآيات :

يبين هذا المقطع مَظهراً من تناقض المشركين في وصفهم الله الخالق بصفات المخلوقين ، وجعلهم له من عباده المخلوقين نسلاً وولداً، وهو تصور عن الله محال، ولا يصدر إلا من كافر بيّن الكفر.

ولهذا يحاجُّ الله المشركين في تصورهم له بمنطقهم وعُرفهم، وينكر عليهم ـ في توبيخ وتقريع ـ أن يتخذ لنفسه من خلقه البنات اللاتي يستاؤون منهن، ويصطفيهم هم بالبنين، وكيف يليق بالله ما لا يرضونه لأنفسهم من البنات وقد كان الواحد منهم إذا خُبِّر بولادتها له اسْوَدَّ وجهه وعَلَته الكآبة وتوارى خجلاً من سوء ما بُشِّر به من فرط ما يكتمه في نفسه من الغيظ والغضب، وتؤكد الآيات ظلم المشركين في نسبتهم لله ما يكرهون من الإناث اللاتي يربَّين في النعومة والرخاوة فلا قدرة لهن على خصام، ولا طاقة لهن بإظهار حقوقهن مما يُحْتَفَى به عند الذكور والرجال.

ثم تحاصرهم الآيات فيما افتروا وادعوا من أن عباد الله من الملائكة إناث، وليس لهم على دعواهم من دليل، فهل شاهدوا خلق الله لهم حتى يحكموا بأنوثتهم؟ فليتحملوا إذاً تبعة شهادتهم الكاذبة، فقد سجلت عليهم في ديوان أعمالهم ليُسألوا عناه يوم القيامة.

ويتابع سياق الآيات فريتهم حول الملائكة وعبادتهم لها ومحاولتهم التخلص من تبعة كفرهم بالله، فيحكي الله زعمهم رضاه عن عبادتهم لها، ومشيئته بذلك، ولو شاء الله غير ذلك ما مكنهم من عبادتهم لها[1]، وهذا جهل منهم بما لا علم لهم به في العقل، وما هم إلا كاذبون فيما قالوا وتمحلوا عن الله، كما لا حجة لهم على ذلك من النقل ، فلم يأتهم الله بكتاب قبل القرآن يبيح لهم عبادة الملائكة فهم به يتمسكون ويحتجون ، بل كان سندهم الوحيد ـ في شركهم وعبادتهم الملائكة ـ ما قرروه واعترفوا به من جنوحهم إلى تقليد الآباء ومحاكاتهم لهم، هكذا دون تحرٍّ أو تدقيق فيما كان عليه آباؤهم إن كان هدى أو ضلالاً.

وهنا يسلي الله ـ سبحانه وتعالى ـ رسوله ﷺ بما يخبره من أنَّ مقالة هؤلاء قد سبقهم إليها كفار الأمم السابقة ، وبما يطلعه إليها رسول من السابقين إلا قال رؤساؤها المترفون ووجهاؤها المطاعون فيها هذا القول ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ ، مضربين صفحا عما يدعوهم إليه رسولُهم مما فيه الهادية والنفع وسبيل الحق والنجاة، ومعلنين صراحة تمسكهم بضلالهم وكفرهم الصريح بما جاءهم به ولو كان أهدى وأجدى مما هم عليه من دين آبائهم .

---

(١) مثل هذا قولهم : ﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا ﴾ [الأنعام : ١٤٨] ، وهذا وذاك من الحق الذي يراد به الباطل والاحتيال على الحقيقة ، فإن كل شيء يقع في الوجود إنما يقع وفق مشيئة الله بما في ذلك كفرهم وعبادتهم الباطلة ، ولا تعني مشيئته لذلك رضاه منهم ، والله أعلم .

وأمام مكابرة هؤلاء وإصرارهم على عنادهم واستنفاد أعذار الله لهم، لم يبق لهم عنده إلا الهلاك والانتقام منهم، ولينظر كل ناظر كيف كانت عاقبة المكذبين وانتقام الله منهم، وكيف كان مصير أمثالهم من السابقين .

من فوائد الآيات :

١- تناقض المشركين في إقرارهم بخلق الله للسماوات والأرض ووصفهم له بصفات المخلوقين وجعلهم له ولدا.

٢- مشروعية مجاراة الخصوم وجدالهم بمنطقهم لإثبات فساد معتقدهم كفساد نسبه المشركين لله ما يكرهون من الإناث.

٣- كراهية العرب قبل الإسلام لولادة الإناث ونشأتهن الناعمة، واحتفاؤهم بولادة الذكور وقوة جلدهم وفتوتهم.

٤- فساد زعم المشركين أنثوية الملائكة دون دليل لهم على زعمهم ، ومحاسبتهم بشهادتهم الكاذبة على مالم يشهدوا خلقه.

٥- احتيال المشركين وتسويغهم عبادتهم للملائكة بمشيئة الله لذلك من الحق الذي يراد به باطل وهو رضا الله عن فعلهم .

٦- خطأ تقليد الآباء في العقيدة دون تدبر وتفكر للاقتناع بما فيها من هداية وحق ورفض لما فيها من ضلال وباطل.

٧- رفض المشركين ومكذبي الأنبياء لكل جديد يدعون إليه دون تدبر وتعقل لإيثارهم تقليد الآباء في ضلالهم القديم.

٨- إهلاك الله وانتقامه هو مصير المشركين والمقلدين في العقيدة دون تدبر واقتناع.

١- وضحي معاني الكلمات القرآنية التالية : (جزاء، أصفاكم، كظيم، يخرصون، مستمسكون ، أمـة ، مترفوها) .

٢- ما موضوع هذا المقطع ؟ وفي أي شيء تناقض المشركون؟ وما حكمة إنكار الله عليهم اختصاصه بالبنات؟ وما مظهر كراهيتهم لهن؟

٣- ما المقصود بمن يُنَشَّأ في الحلية؟ وبماذا وصف المشركون الملائكة؟ وكيف رد الله عليهم وصفهم؟ وبمَ تهددهم على ذلك؟

٤- بماذا سوغ المشركون عبادتهم الملائكة؟ وهل يلزم من مشيئة الله للشيء رضاه عنه؟ وماذا تحفظين من الآيات في ذلك؟

٥- ما سند المشركين في عبادتهم الملائكة؟ وما قيمة سندهم في العقل والنقل ؟ وكيف رد الله عليهم سندهم؟

٦- بماذا سلَّى الله رسوله ﷺ عن تكذيب المشركين له؟ وما دور المترفين في ضلال السابقين؟ وماذا كانت عاقبتهم؟

٧- اذكري ثلاث فوائد عرفتها في هذا المقطع ، مع شرح واحدة منها .

توحيد إبراهيم وأنفة المشركين من ردهم إليه

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ
إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ
﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ
مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾
وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا۟
لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ
يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم
بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَآ
أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ
لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾
وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن
كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ
لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (سورة الزخرف) .

معاني المفردات :

الكلمة	معناها
براء	: أي بريء ومتبرئ ، وهو مصدر وصف به يقال للواحد والاثنين والجمع.
فطرني	: خلقني وأنشأني.
كلمة	: المراد كلمة التوحيد المفهومة من تَبَرُّؤ إبراهيم من معبودات قومه.
عَقِبَة	: نسله وذريته.
بل	: حرف للإضراب والانتقال من الكلام والمعنى السابق عليها إلى الكلام والمعنى اللاحق بها .
سِحْر	: السِّحر لغة : ما خفي ولطف سببه. وشرعا: عزائم ورقي وعقد يؤثر في القلوب والأبدان فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه.
رجل من القريتين	: القريتان مكة والطائف، أما الرجل فمن الأولى الوليد بن المغيرة ، ومن الثانية عروة ابن مسعود الثقفي.
رحمة ربك	: المراد بالرحمة هنا ما هو أرفع من حظوظ الدنيا كالنبوة والرسالة وطهارة القلب وزكاوة الخلق.
سخرياً	: أي كل واحد منهم مهيأ لخدمة الآخر وتحقيق نفعه.
معارج	: جمع معراج كمراقي ومراقاة وزناً ومعنى ، مثل دَرَج السلم أو المصاعد التي يُصْعَد عليها.
يظهرون	: يرتقون ويصعدون.

يتكئون : من الاتكاء وهو الاستناد على الشيء، والموضع متَّـكَأ ، والمتكئ من قعد على وطاء كسرير.

زخرفاً : الزخرف: الذهب أو كل ما يحلى به من حُليِّ الدنيا.

المعنى الإجمالي للآيات :

انتهى المقطع السابق بتقرير فساد التقليد في العقيدة وهلاك أصحابه، ويعرض هذا المقطع في بدايته صورة من رض التقليد في سابق الزمان، فها هو إبراهيم عليه السلام يعدل عن معبودات أبيه وقومه معلناً براءته منها، ورافضاً تقليدهم في شركهم ووثنيتهم، ليرفع بذلك ـ في قومه والأمم من بعده ـ دعوة التوحيد ورايته، حيث استثنى من برائته المعبود بحق، وهو الله الذي فطره وأنشأه فكان حقيقاً بالعبادة وحده وخليقاً بهدايته إلى الصراط المستقيم في عبادته ، ولقد قال إبراهيم كلمة التوحيد ثم مضى إلى ربه بعد أن وصّى بها بنيه لتكون باقية فيهم على مدى الزمن، يدعو إليه الرسل من ذريته كموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام ويستجيب لهم فيها مَنْ هداه الله إلى التوحيد، ويرجع إليها مَنْ ضل بالشرك والتقليد ، فإذا هم جميعاً يدينون بكلمة التوحيد لأبيهم إبراهيم عليه السلام.

ولكن كيف كان استقبال مشركي العرب لتوحيد أبيهم إبراهيم ؟ لقد بَعُدَ عهدُهم بإبراهيم وكلمته، وشُغِلُوا عنهما بما مُتعوا هم وآباؤهم به من النعم وأنواع الترف حتى بدأ التوحيد والحق ـ حين جاءهم غريباً منكراً وهو يُعلَن عليهم من أحد أبناء إبراهيم وهو محمد ﷺ مع ظهور صدقه ووضوح رسالته، ولإصرار هؤلاء على تقليدهم وانغماسهم في مُتعِهم عاندوا الرسول ﷺ وكابروه وزعموا خداعًا وتغريرًا أن الحق الذي جاءهم به من القرآن والمعجزات سحرٌ، وأكدوا لهذا كفرهم به وجحودهم إياه، وهم أول من يعرفون أنه حق وليس سحراً، فقد كانوا يتمنون أن تكون الرسالة من حظِّ عظيم من عظمائهم، وأن يتنزل القرآن على واحد من كبرائهم وزعمائهم .

وهنا يردُّ القرآن عليهم مستنكراً اعتراضهم على فضل الله ورحمته، فالله أعلم حيث يجعل رسالته، وما لهم هم ورحمة الله وفضله ؟ !! يتدخلون في توزيعها على الناس، وهم أوضع شاناً من أن يملكوا لأنفسهم

رزقاً أو يقسموه فيما بينهم؟ وإذا كان سبحانه هو الذي قسم بينهم أرزاقهم ورفع درجات بعضهم على بعض لتسييره الحياة واستخدام الخلق بعضهم بعضاً فكيف لا يقنعون بقسمة الله في أمر النبوة ونزول القرآن واختصاصه بها ذوي الكمالات الخلقية المؤهلين لفضل الله ورحمته، وهو خير ممَّا يجمعونه من حطام الدنيا وزخارفها، ويحظى بكثير منه زعمائهم وعظمائهم ؟

ويستمر سياق الآيات في بيان حقارة الدنيا وما يجمعونه فيها ولولا أن يجتمع الناس على ملة الكفر طلباً للدنيا وزينتها، واعتقاد الجهال منهم أن سعة رزقهم فيها دليل محبة الله لهم ـ لأغدقها عليهم إغداقاً، وجعل بيوت الكفار منهم سقفها من فضة، ومصاعدها وأبوابها وسررها وسائر مرافقها من فضة وذهب وزخرف، فكل ذلك هين على الله، يبذله رخيصاً لمن يكفر بالرحمن متاع هذه الحياة الدنيا الذي يليق بشرار الخلق وأبغضهم عند الله ، فأما المكرَّمون عنده بتقواهم ؛ فلهم في الآخرة من ضروب النعيم ما هو أكرم وأبقى ، مما لا يحيط به الوصف أو يدركه الخيال ﴿ وَٱلْأَخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ .

من فوائد الآيات :

١- رَفْضُ إبراهيم لتقليد أبيه وقومه وبراءته من شركهم ؛ فيه القدوة والأسوة لمن ينتسب إلى ملته من الحنفاء والموحدين.

٢- بقاء التوحيد والدعوة إليه في عقب إبراهيم عليه السلام وذريته من بعده إلى يوم القيامة.

٣- انغماس الناس في المتع والشهوات يرين على قلوبهم ويصرفهم عن الحق ويدفعهم لجحوده ومعاندة الداعين إليه .

٤- مكابرة المشركين في وصفهم القرآن بالسحر وهو الحق الذي عرفوه من صاحبهم وتمنوه لعظيم من عظمائهم .

٥- استكثار المشركين على محمد ﷺ رحمة الله وفضله عليه وهم أقل شأناً من تصريف أرزاقهم وتدخلهم في قسمتها .

٦- تفاوت الناس في أرزاقهم وحظوظهم في الدنيا تبعاً لاختلاف كفاياتهم ومواهبهم، فبعضهم لبعض ـ وإن لم يشعروا ـ خدم.

٧- حقارة متع الدنيا وقصر أمدها إلى جانب نعيم الآخرة الذي أعده الله للمتقين وهو خير وأبقى.

١- وضحي معاني الكلمات القرآنية التالية : (براء ، فطرني ، عَقِبِه ، سخرياً ، معارج ، يتكئون، زخرفاً) .

٢- ما موضوع هذا المقطع ؟ وما علاقته بسابقه ؟ وما الذي تبرأ منه إبراهيم ؟ وما المراد بالكلمة التي جُعِلت في عقبه؟

٣- كيف كان استقبال مشركي العرب للتوحيد، وما سبب ذلك ؟ ومَنْ الذي جاءهم بالتوحيد والحق ؟ وبماذا وصفوا هذا الحق؟

٤- اعرضي بأسلوبك صورة من مكابرة المشركين وحقدهم على محمد ﷺ ، وكيف رد الله عليهم حقدهم ومكابرتهم ؟

٥- ما حكمة تفاوت درجات الناس وأرزاقهم في الدنيا ؟ وهل لهم دخل في تقدير أرزاقهم ؟ وهل يقتضي التفاوت اختلاف حقوقهم الإنسانية؟

٦- ما قيمة ما يعطاه الكفار في الدنيا إلى جانب ما ادُّخر للمتقين في الآخرة ؟ وما الحكمة من عدم جعل الله بيوت الكفار من ذهب وفضة ؟

٧- اذكري ثلاث فوائد عرفتها في هذا المقطع ، مع شرح واحدة منها .

عاقبة المعرضين عن ذكر الله وتسلية الرسول

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا
فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ
أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ
بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ
إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ
الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾
فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي
وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ
إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ
وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٤٤﴾ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا
أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾

(سورة الزخرف) .

معاني المفردات :

الكلمة	معناها
يَعْشُ	يُعرِض ويتعامى ، وأصله من العشَى وهو في العين ضعف البصر وكلاله.

نقيض له : نقدر له ونسلط عليه.

شيطانا : الشيطان كل متمرد عاتٍ من جن وإنس يوسوس لصاحبه ويزين له السوء.

بُعد المشرقين : المراد ما بين المشرق والمغرب من البعد غُلّب أولهما كما يقال العُمَرَان والأبوان والقمران.

بـئس القـريـن : أي أنت أيها الشيطان ، وتستخدم « بئس » لذم ما يستند إليها كما تستخدم « نعمَ » لمدح ما يستند إليها .

أفأنـت تسـمع : الاستفهام للإنكار والتعجب من عدم إسماعه لهؤلاء الصم أو هدايته لهؤلاء العُمي.

نـذهــبن بـك : أي نقبضنك إلينا ونتوفينك.

لـذكـــــر لك : شرف عظيم لك وإعلاء لذكرك.

المعنى الإجمالي للآيات :

انتهى المقطع السابق ببيان هوان الدنيا وعرضها الزائل في مقابلة خير الآخرة ونعيمها الدائم، وفي هذا المقطع تبين الآيات حال ومصير هؤلاء الذين ينالون متاع الدنيا، وينهمكون في ملاذها وهم بعيدون عن عبادة الرحمن وذكره، فمن كان هذا حاله يسلط الله عليه من الشياطين صاحباً يلازمه كظله، فيوسوس له ويزين له سوء عمله حتى يراه حسناً ويضله عن سبل الخير، ويكره إليه الإيمان بالله والعمل بطاعته فيستجيب له وهو يحسب أنه على طريق الهداية.

وحين يجيء هذا الضال عن الحق يوم القيامة ويلقى ربه يدرك الوهم والضلال اللذين عاشهما طول حياته ، فيتبرم بصاحبه الذي أغواه وأضله، متمنياً أن لم يكن قد عرفه، وكان ما بينهما من البعد كما بين المشرق والمغرب، فبئس هذا الشيطان من قرين وصاحب لا يحمد لقياه ولا تنفع صحبته، ولا يلبث السياق أن يعقب على هذا الموقف بما يقال لهم حينئذ ـ توبيخاً وتقريعاً ـ أنهم لا ينفعهم اشتراكهم في تحمل العذاب ـ وقد ظلموا أنفسهم في الدنيا واشتركوا في سبب عذابهم ـ بل لكل منهم عذابه كاملاً لا تخفف منه شركة أو تهوِّن منه مصاحبة .

ويشرع سياق الآيات في تسلية الرسول ﷺ عن شرك هؤلاء وظلمهم لنفسهم ، وتثبيته على الحق الذي أوحي إليه، حيث يخبر الله رسوله أن هدايتهم ليست إليه، فما يمكن له أن يسمع مَنْ سلبهم الله استماع حججه، وجعل في آذانهم وقراً، كما لا قدرة له على هداية من أعمى قلوبهم وجعل عليها أقفالها واستحوذ عليهم الشيطان فصاروا في الضلال المبين ، وكيف له ذلك وليس وظيفته إلا البلاغ ؟ أما هؤلاء فسيتولى الله الانتقام منهم إذا قبض رسوله إليه، أو يوقع بهم ما أوعدهم من العذاب إذا قدر له الحياة حتى وقوعه بهم، فالله قادر على ذلك ، وقد أراه شيئاً منه في بدر.

ثم أمر الله رسوله أن يظل متمسكاً بالقرآن ولا يبالي بمن كذب به لأنه الحق الواضح ، والمتمسك به ثابت على الطريق المستقيم، ثم هو ذكر عال، وشرف دائم لرسول الله ﷺ ولقومه، فمئات الملايين من البشر تخفق قلوبها منذ نزول القرآن بذكر رسول الله ﷺ وحبه، وقد واجه قومُه بهذا القرآن العالم كلَّه فكانوا به سادة الدنيا حتى أتتهم وهي صاغرة، وما زال شرف العرب وعزهم منوطاً بقيامهم بواجبهم نحوه، واحتكامهم لهديه، وهي تبعة ضخمة سوف يسألهم الله عنها يوم الدين والجزاء.

ويختم المقطع بتقريع قريش على رفضهم التوحيد في هذه الصورة المؤثرة التي يواجه الله فيها رسول الله ﷺ إلى سؤال الأنبياء من قبله ـ على ما بينه وبينهم من أبعاد وأبعاد تتلاشى مع وحدة الدين وحقيقة التوحيد ـ إن كانوا قد أتوا أممهم بغير التوحيد أو أذن أحد منهم بعبادة الأوثان من دون الله ؟ حتى يستقر في أذهان قريش وغيرهم أن ما هم عليه من رفض التوحيد لم يرد في شريعة من الشرائع، وأن الأنبياء مجموعون على التوحيد الذي هو أساس الدين عندهم جميعاً.

من فوائد الآيات :

١- من أعرض عن هدي الله وتغافل عن ذكر الرحمن هيأ الله له من يعينه على ذلك ويزين له سوءَ عمله .

٢- ندم الضالين يوم القيامة على غفلتهم عن ذكر الله في الدنيا وطاعتهم لقرنائهم من الشياطين وأصحاب السوء.

٣- من أضله الله واغتالته الشياطين فعميَتْ بصيرته عن الحق لا سبيل لهدايته من أحد ولو كان رسولاً.

٤- رفعة الله لذكر الرسول ﷺ وقومه بالقرآن الكريم الذي أعزهم به وسادوا بهديه الدنيا.

٥- تسلية الله لرسوله ﷺ عن شرك المشركين وتكذيبهم ، وتوجيهه إلى التمسك بالوحي والثبات على الصراط المستقيم .

٦- اتفاق الأنبياء في دعوتهم إلى توحيد الله : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل : ٣٦] .

المناقشة

١- وضحي معاني الكلمات القرآنية التالية : (يَعْشُ، شيطاناً ، المشرقين، القرين، نذهبن بك).

٢- ما موضوع هذا المقطع؟ وما حال الغافل عن ذكر الله في الدنيا؟ وما مصيره في الآخرة؟ وهل ينتفع بِبُعد قرينه فيها أو مشاركته في العذاب؟

٣- بماذا سلى الله رسوله ﷺ عن شرك المشركين؟ وما وظيفة الرسول نحو أمته ؟ وما دوره في هدايتهم ؟

٤- هل انتقم الله من مشركي العربي أو أوقع وعيده بهم ؟ وبماذا وجه الله رسوله ﷺ نحو تكذيب قومه ؟

٥- اشرحي قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْئَلُونَ ﴾ وما دليلك على اتفاق الأنبياء على دعوة التوحيد؟

٦- اذكري ثلاث فوائد عرفتها من هذا المقطع ، مع شرح واحدة منها .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ
فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُم بِآيَاتِنَا إِذَا هُم
مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ
مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا
يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ
﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾
وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ
وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا
خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا
أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ
مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا
قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ
فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا
لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ (سورة الزخرف) .

معاني المفردات :

الكلمة	معناها
آياتنا	: آيات جمع آية وهي العلامة ، والمراد هنا حجج موسى ومعجزاته كاليد والعصا وغيرهما .
ملئه	: الملأ الجماعة القائمة بالشيء، والمراد أشراف القوم وكبراؤهم.
وأخذناهم بالعذاب	: أي أنزلنا بهم أنواع العذاب كنقص الثمرات والطوفان والجراد وغيرها.
الساحر	: من يتعاطى السحر فيعقد العقد وينفث فيها من ريقه مستعيناً بالشياطين فيؤثر في المسحور .
ما عهد عندك	: ما مصدرية ، أي عهده إليك : إنا إذا آمنا كشف عنا العذاب.
ينكثون	: من النكث وهو النقض، يعني ينقضون عهدهم بالإيمان إن كشف عنهم العذاب، المفهوم من قوله ﴿ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴾ .
أم أنا خير	: أم بمعنى بل التي تعني الإضراب والانتقال ، أي أنا خير من موسى .
مهين	: ضعيف فقير ، فهو ممتهن في نفسه لا عز له ولا سلطان عنده غيره.
لا يكاد يبين	: لا قدرة له على الإفصاح وبيان الكلام ، لما في لسانه من صعوبة النطق ببعض الحروف والكلمات.
أسورة	: جمع سوار وهو ما تحلى به اليد من الذهب ويزين به المعصم.
مقرنين	: مجتمعين ومتتابعين ، ليعينوه على أمره ويحتفون به.
استخف قومه	: حملهم على الخفة في مطاوعته والاستجابة لضلاله.
آسفونا	: أغضبونا وأسخطونا.
سلفاً ومثلاً	: قدوة لمن عمل بعملهم ، وحدثاً عجيباً يتحدث به الناس.

المعنى الإجمالي للآيات :

انتهى المقطع السابق بتقرير حقيقة التوحيد عند الأنبياء جميعاً ، وفي هذا المقطع ـ الذي يعرض جانباً من قصة موسى وفرعون ـ تتضح وحدة الرسالة والدعوة ، كما تتبدى طبيعة الطغاة والكبراء في رفضها للدعوة ومعارضتها واستكثارهم على الرسول رسالته حتى يسلو ﷺ ولا يأسى لكفر المشركين وحقدهم عليه، فلقد أرسل الله موسى عليه السلام إلى فرعون ـ ملك مصر في زمن موسى ـ والوجهاء والأشراف من قومه وأتباعهم من القبط حيث أعلنهم برسالته إليهم من ربهم ؛ رب العالمين، ودعاهم إلى عبادته وحده، وحين جاءهم بمعجزات الله ودلائله على صدق رسالته ودعوته ؛ استقبلوها بالهزء والسخرية والاستخفاف المعهود لدى الجهال والمتعالين.

ويحكي سياق الآيات هنا ـ في إجمالي ـ ما أراد الله من الآيات التي تتابعت عليهم فكانت اللاحقة منها أظهر من سابقتها على صدق رسالته وآكد في حجتها على نبوته ، ولكن ما رقَّت لها قلوبهم ، ولا قبلتها عقولهم، فأنزل الله بهم أنواع العذاب رجاء رجوعهم إلى الله وتصديقهم برسوله ، فلما عاينوا ما جاء به من الآيات وأنواع العذاب حسِبوا ذلك منه سحراً ، واستعظموا هذا العلم عنده ، فطلبوا دعاءه ربه ، وسؤاله بما يعرف مِن عَهْدِه إليه إنْ هُمْ آمنوا كشف عنهم بلاءهم وعذابهم ، مؤكدين أنهم ـ مستقبلاً ـ لا شك مهتدون ومؤمنون به إذا زال ضُرُّهم وكشف الله ما بهم ولكنهم ما صدقوا في تأكيدهم ولا وفوا بعهدهم ، فما أن كشف الله عنهم ضُرَّهم ورفع العذاب عنهم حتى نقضوا عهدهم وظلوا على كفرهم.

لما خاف فرعون ميلَ القوم عن طاعته نادى فيهم مفتخراً بجاهه وسلطانه ، مباهياً بحرية تصرفه في البلاد والعباد، حتى يستكينوا على ما هم عليه من استبعاده واستخفافه بعقولهم.

وها هي مصر كلها ملك له، وقصوره مشرفة على أنهارها ، ينعم أهلوها بهوائها الرطب ونسيمها العليل ، فهل ينكرون شيئاً من ذلك، أو لا يبصرونه فلم يعرفوا لملكهم عظمته وقوته؟ وهلا وازنوا بين أُبَّهة مَلِكهم وعظمته وما عليه موسى من ضعف وامتهان، وعجز لا يكاد منه يحسن الكلام، فكيف تكون له الرياسة والنبوة مع هوانه ؟ وهلا تُوِّجَ موسى، أو حُلِّي بأساور الذهب وما تزين به الملوك والعظماء إن

كان صادقاً في دعواه ؟ أو جاء معه ملائكة يشهدون بنبوته ويحتفون به كما يُحتفَى بالملوك والسلاطين فلا يسعنا إلا اتباعه والإيمان به ؟

وهكذا غرر فرعون بقومه، واستجهلهم بزعمه أن الملك والرياسة مناط النبوة والرسالة، وأنها لو كانت لكان أولى بها حتى أجابوه لما يريد، وكذبوا بموسى عليه السلام وعَشَتْ عيونهم عن آياته ومعجزاته وما كانوا ليفعلوا ذلك إلا وهم خارجون عن طاعة الله غير مستقيمين على طريقة، ولما انتهوا إلى هذا الحال من عناد رسولهم وإغضاب ربهم أنزل بهم عاجل عذابه وسريع انتقامه فأهلكهم بالماء الذي اعتزوا به في قول مستخِفِّهم : ﴿ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ﴾ وأغرقهم الله في البحر، فكانوا قدوة وسلفاً لمن تبعهم من الخَلَفِ الظالم ، وعبرة ومثلاً لمن يفكر في صنيعهم من بعدهم ، ويعتبر بمصيرهم.

من فوائد الآيات :

١- إرسال الله موسى عليه السلام إلى فرعون والملأ من قومه مثل إرساله إلى قومه من بني إسرائيل.

٢- استعلاء فرعون وقومه على التوحيد الذي دعاهم إليه موسى واستهزاؤهم بآياته مثل مشركي العرب.

٣- إنزال الله بفرعون وقومه أنواعاً من العذاب لعلهم يؤمنون، وخُلْفُهم لوعدهم عند كشف الله لعذابهم.

٤- استغلال فرعون لملكه وجاهه في تهديد قومه وخداعهم وتضليلهم عن حقيقته وحقيقة موسى ونبوته.

٥- حجة فرعون في رفض موسى ودعوته هي حجة المشركين في رفض النبي ﷺ ودعوته حيث لم يكن كلاهما عظيماً أو مالكاً.

٦- نجاح دعاوي الطغاة وخداعهم لأممهم والاستخفاف بهم رهين بجهلهم وبعدهم عن منهج الله وصراطه المستقيم.

١- وضحي معاني الكلمات القرآنية التالية : (الملأ، ينكثون، مهين، أسورة، استخف، آسفونا).

٢- ما موضوع هذا المقطع ؟ وما علاقته بسابقه ؟ وبماذا استقبل فرعون وقومه آيات موسى ؟ وماذا عاقبهم الله .

٣- ما معنى أن الآية أكبر من أختها ؟ وماذا قال الملأ حين تتابع العذاب عليهم؟ وماذا صنعوا حين كُشِفَ العذاب عنهم ؟

٤- ما المقصود من إخبار فرعون بملكه لمصر؟ وما وسائله في تحقيق مقصوده؟ وإلى ماذا يشير بوصفه موسى بالمهانة؟

٥- اشرحي قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ مبينة مصير فرعون وقومه.

٦- اذكري فوائد عرفتها في هذا المقطع ، واشرحي واحدة منها .

﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ
﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ
بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ
وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم
مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ
فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾
وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾
وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ
وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ
﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ
﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟
مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن
تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾

(سورة الزخرف) .

سـبب النـزول :

روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال لقريش : «يا معشر قريش ، إنه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير»، وقد علمت قريش أن النصارى تعبد عيسى بن مريم، وما تقول في محمد ﷺ، فقالوا [1] : يا محمد ألست تزعم أن عيسى كان نبياً وعبداً من عباد الله صالحاً؟ فلئن كنت صادقاً فإن آلهتهم لكما تقولون، قال: فأنزل الله عز وجل ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ [2].

معـاني المـفـردات :

الكلمـة	معـنـاهـا
مثلاً	: للمثل معان عدة، ومعناه هنا « شبها » وضرْبُه ذِكرُه بقصد تطبيق حالة مورده على حالة مضربه التي تشبهها.
يصدُّون	: يصيحون ويصخبون.
جدلاً	: مخاصمة ، والمقصود المراء والجدال بالباطل، وإعراب الكلمة مفعول لجله.
خَصِمُون	: شديدو الخصومة كثيرو اللجاج.
منكم ملائكة	: أي بدلكم، ومِن بمعنى بَدَل ، أو بعضكم ومن ذريتكم.
يخلُفُون	: يكونان خلفاً لكم في عمارة الأرض كما تخلفكم أولادكم.

---

(١) في رواية أخرى أن القائل ابن الزَّبَعْري حين نزل قوله تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ . . . ﴾ [الأنبياء : ٩٨] قال : يا محمد، هذا شيء لآلهتنا خاصة أو لكل من عُبد من دون الله ؟ قال : لا، بل لكل من عُبد من دون الله . قال : ألست تزعم أن الملائكة عباد صالحون ، وأن عيسى عبد صالح، وأن عزيراً عبد صالح؟ قال : بلى. قال : فهذه بنو مليح يعبدون الملائكة ، والنصارى يعبدون عيسى ، واليهود يعبدون عزيراً، فصاح أهل مكة ، فأنزل الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ [الأنبياء:١٠١] وقوله : ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا . . . ﴾ راجعي مجمع الزوائد ٧/ ١٠٤. كتاب التفسير سورة الزخرف ، أسباب النزول ص ٣١٦ ، الفتح الرباني ١٨/ ٢٦٦ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد وغيره،راجعي الفتح الرباني١٨/ ٢٦٦.كتاب التفسير ـ سورة الزخرف ، أسباب النزول ص٣٩٧.

عِـلْـمٌ للـسَّـــــاعـة : أي إن ظهوره آخر الزمان مما يُعْلَمُ به قيام الساعة، وجُعل عيسى علماً مبالغه لما يحصل عند نزوله من العلم بها [1] .

تمترن : تصرون على المراء والشك.

الحكمة : للحكمة معان: أظهرها الخير الكثير من التوحيد والتشريع والقول المحكم والتوجيه السديد إلى الطريق القويم.

بغتة وهم لا يشعرون : أي أن الساعة تأتيهم فجأة وهم غير فطنين لمجيئها.

المعنى الإجمالي للآيات :

يعرض هذا المقطع نوعاً من عناد قريش في العقيدة، ويعالج أحد أوهامهم حول نبي الله عيسى بن مريم عليهما السلام، التي تعلقوا بها لما سمعوا قوله تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴾ [الأنبياء : ٩٨] . حيث فرحوا بذلك وصخبوا وصاحوا لما وجَدَ مجادلهم في ذلك شبهة ومدخلاً لتسويغ عباداتهم الملائكة، فقد عبدت النصارى عيسى بن مريم، فإن كان في النار لأنه قد عُبد؛ فقد رضوا أن يكونوا وآلهتهم معه [2] ، وقد ردَّ الله قولهم في غير موضع من القرآن، ومع ما قرره هنا من حقيقة عيسى عليه السلام وحكاه من جدلهم ولججهم، فهم ما قصدوا بذكرهم لعيسى وعبادته ومفاضلتهم بين آلهتهم وبينه إلا الجدل والمراء الذي جُبِلوا عليه.

أما حقيقة عيسى فلا تزيد عن كونه عبداً لله أنعم عليه وأكرمه بالنبوة وجعله ـ بخلقه من غير أب ـ عبرة ومثلا يعرف بها بنو إسرائيل قدرة الله في خلقه، ولم يكن ربًّا حتى يعبده النصارى ويحتج المشركون

---

(١) أخرج الشيخان ـ واللفظ لمسلم ـ عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يغلبه أحد » صحيح مسلم كتاب الإيمان ١/ ١٣٥، فتح الباري كتاب المظالم ٥/ ١٢١.

(٢) لا يخفى ما في جدل المشركين من تلبيس ومماحكة صرف فيها لفظ « ما » في قوله ﴿ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴾ التي هي للأصنام غير العاقلة إلى مدلول لفظ « مَنْ » الموضوع للعقلاء حبا منهم للمغالبة والمكابة، كما أن من أسباب اشتراك المعبودين مع عابديهم في مصيرهم السيء رضا المعبودين بفعل عابديهم، وهذا منفي في حق الملائكة وعيسى بن مريم . راجعي الفتح الرباني ١٨/ ٢٦٧.

بعبادتهم إياه على عبادتهم للملائكة ، ولو شاء الله لأهلكهم وجعل بدلاً منهم ملائكة يعقبونهم في الأرض فليس ذلك على الله بعزيز وما يشاء الله يكون ، كما شاء خلق عيسى من غير أب ورفعه إليه ليكون نزوله آخر الزمان أمارة قيام الساعة التي يشكون فيها.

ومن ثَمَّ يَنْهى القرآن الكريم ـ على لسان الرسول ﷺ ـ المشركين عن هذا الشك في الساعة ، ويدعوهم على اليقين بوقوعها واتباعه على طريقه المستقيم؛ طريق الحق والتوحيد وأن لا يغتروا بوساوس الشيطان الذي يمنعهم عن اتباع الرسول ﷺ ؛ إذا إنه عدوهم المتربص بهم الذي لا يخفي عداوته لهم.

ثم يعود السياق إلى عيسى وحقيقة ما جاء به وغايته واختلاف قومه فيه، فحين جاء عيسى قومه من بني إسرائيل بآياته من المعجزات الخارقة والأحكام الواضحة أعلنهم بما جاءهم به حتى يقوا أنفسهم عقاب الله وعذابه، ثم دعاهم ـ مثل إخوانه من الأنبياء ـ إلى التوحيد الخالص لله ربه وربهم، وتخصيصه وحده بالعبادة، فهذا هو الصراط المستقيم، وليس فيما دعاهم إليه شيء مما نسبه النصارى إليه واختلفوا فيه من بعده شيعًا وفرقًا فكفروا بزعم بعضهم إنه إله أو ابن إله، وقول بعضهم إنه ثالث ثلاثة، فضيَّعوا بذلك التوحيد الذي جاءهم به، وظلموا أنفسهم وكذبوا على نبيهم، فاستحقوا بظلمهم هلاك الله وعذابه الأليم الذي ينتظرهم يوم الدين، وهل ينتظر هؤلاء الظلمة من أحزاب النصارى ومَنْ يشابههم من ظَلَمَة العرب والمشركين إلا ان يحل بهم هذا اليوم ويبغتهم فجأة وهم غافلون عنه ؟

من فوائد الآيات :

١- تلبيس المشركين في العقيدة وتسويغ عبادتهم الباطلة للملائكة بعبادة النصارى لعيسى عليه السلام.

٢- حقيقة عيسى لا تخرج عما قرره القرآن من عبوديته لله وإنعامه عليه بالنبوة وخلقه بغير أب ليكون عبرة للمعتبرين.

٣- قدرة الله المطلقة في خلق المخلوقات فقد خلق عيسى من غير أب ولو شاء خلق الملائكة من البشر لكان له ما يشاء.

٤- يوم القيامة حق لا مرية فيه، ونزول عيسى عليه السلام آخر الزمان من أمارات وقوعه والدخول في مظاهره.

٥- لم يجئ عيسى في رسالته بغير التوحيد الذي جاء به الأنبياء فقطع خلاف قومه من قبله وحاج المختلفين فيه من بعده.

٦- اجتماع المشركين المكذبين للرسل والأحزاب المغالين في عيسى على الظلم الذي يهلكون به ويعذبون في الآخرة .

١- وضحي معاني الكلمات القرآنية التالية : (مثلا، يصِدون، جدلا، خصمون، يخلُفُون، بغتة).

٢- ما موضوع هذا المقطع ؟ وما سبب نزول آياته ؟ وما شبهة المشركين في عبادتهم الملائكة؟ وما غرضهم من شبهتهم؟

٣- ما حقيقة عيسى المقررة في القرآن ؟ وما حكمة خلقه بغير أب ؟ وكيف تردين على المغالين فيه والشاكين في طريقة خلقه؟

٤- ما معنى أن عيسى عِلْمٌ للساعة ؟ وماذا تحفظين في ذلك ؟ وبماذا وجَّه الرسول ﷺ المشركين حول الساعة؟

٥- ما الحكمة التي جاء بها عيسى عليه السلام ؟ وما الغاية التي قررها القرآن لمجيئه بها ؟ وفي أي شيء اختلف الأحزاب من قومه؟

٦- اذكري ثلاث فوائد عرفتها في هذا المقطع ، واشرحي واحدة منها .

مشهد من الآخرة للمتقين والمشركين

﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ
(٦٧) يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ
(٦٨) ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ (٦٩) ٱدْخُلُوا۟
ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ (٧٠) يُطَافُ عَلَيْهِم
بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ
وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٧١) وَتِلْكَ
ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٧٢) لَكُمْ
فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ (٧٣) إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ
جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ (٧٤) لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (٧٥) وَمَا
ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ (٧٦) وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ
عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ (٧٧) لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ
وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ (٧٨) أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ
(٧٩) أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا
لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ (٨٠) ﴾ (سورة الزخرف) .

معـــاني الـمـفـــــردات :

الكلمـــة	مـعـنـــــاهـــا
الأخلاَّء	: الأصدقاء والصحاب جمع خليل، والمراد المتخالُّون على الكفر والمعاصي.
تُحْـــبَرون	: تُسَـرّون وتفرحون.
صِحَاف	: قصاع واحدها صحفة كقصعة مَبْنَى ومَعْنَى، وهي الأواني التي يُقَدّم فيها الطعام.
تَلَذُّ الأعين	: أي تجده لذيذاً، وتستلذ برؤيته ومشاهدته.
أُورْثتمُوها	: أورثكم الله إياها ، وصارت إليكم(١).
بما كنتم تعملون	: الباء للسببية و« ما » مصدرية أي بَعَمَلِكُم، أو موصولة يعني الذي عملتموه، والمعنى واحد(٢).
المجرمين	: المقصود بها الأشقياء الراسخون في إجرامهم وظلمهم.
لا يُفَتَّر عنهم	: لا يُخفَّف عنهم ولا يَسْكن ، ويقال : فترت عنه الحمى إذا سكنت وخَفَّت.
مُبْلِسُون	: آيسـون من النجاة وصامتون حزناً على ما هم فيه.
يا مالك	: اسم خازن النار من الملائكة.
ليـقـض علـيـنـا	: أي ليقبض أرواحنا ويميتنا فنستريح مما نحن فيه.
ماكثون	: مقيمون وباقون لا موت لكم ولا خروج من النار.
أبرموا أمراً	: الإبرام في الأصل فتل الحبل لتقويته، والمراد إحكام الكيد وإتقان المكر برسول الله ﷺ.

(١) أخرج ابن ماجة عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال : « ما منكم من أحد إلا له منزلان ، منزل في الجنة ومنزل في النار ، فإذا مات فدخل النار ورث أهل الجنة منزله فذلك قوله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٠] » ، كتاب الزهد ـ باب صفة الجنة ٢/ ١٤٥٣.

(٢) دخول الجنة محض تفضل من الله على عباده ، وتفاوت درجاتهم ومنازلهم فيها بحسب أعمالهم الصالحة كما ترشد إليه الآية، قال ﷺ : « لن يدخل أحداً منكم عمله الجنة ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا ، إلا أن يتغمدني الله منه بفضل ورحمة » أخرجه مسلم عن أبي هريرة ، راجعي صحيح مسلم ـ كتاب المنافقين وأحكامهم ٤/ ٢١٧٠.

سرهم ونجواهم : السر ما يخفى ويحدِّث به المرء نفسه ، والنجوى ما يظهره المرء ويحدث به غيره.

بلى : حرف جواب عن الاستفهام المنفي ، وهو بمعنى نعم التي يجاب بها عن الاستفهام الموجب.

ورســـلنا : المراد الحفظة من الملائكة الذين يكتبون أعمال الآدميين.

المعنى الإجمالي للآيات :

انتهى المقطع السابق بتسجيل العذاب المنتظر للظالمين حين تأتيهم الساعة بغتة ، ويُفصِّل هذا المقطع بعض أحوالهم وأحوال المتقين يومئذ ، حيث تدور على الظَلَمة والمشركين دائرة ظلمهم في الدنيا ، فإذا صداقتهم ـ التي اجتمعوا فيها على الضلال ـ وقد صارت عداوة ، ومودتهم ـ التي تعاونوا فيها على الشر ـ قد أضحت بغضاً ونكراناً أما المتقون الذي تصادقوا في الدنيا على الإيمان وتحابوا في الله ، فخُلَّتُهم باقية ومودتهم قائمة ، تذهب بخوفهم ذلك اليوم وتبدد ما يحزنهم فيه ، حيث يبشرهم ربهم بذلك ، ويقرره لهم بهذا النداء العلوي الكريم : ﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴾ .

فقد أمنهم الله في ذلك اليوم إذ صَدَّقوا بآياته في الدنيا ، واطمأنت قلوبهم إلى توحيد ربهم فخضعت لهدية ظواهرهم وبواطنهم ، فكان من جزائهم دخولهم الجنة مع أزواجهم وأحبائهم ، وهم مغتبطون بنعيم الله وتكريمه .

ويحكي السياق صوراً من هذا النعيم في مشهد للمتقين وهم يتناولون في الجنة كل ما تهواه نفوسهم، وتقر به عيونهم مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من صنوف الطعام وأنواع الشراب ، حيث يطوف بها عليهم غلمان مخلدون في أوان وأكواب ذهبية ، فلا يملّون ذلك ولا يبغون عنه حولاً ، لأنهم ـ كما يخاطبهم وتكريماً وتشريفاً ـ خالدون في جنتهم التي أورثهم الله إياها ؛ بأعمالهم الصالحة في الدنيا ، ثم لهم في هذه الجنة ـ فوق الطعام والشراب ـ ألوان الفواكه التي لا حصر لها يأكلون منها حيث شاؤوا وكيفما اختاروا .

فأما الظلمة والمجرمون الذين انقلبت خُلَّتهم في الدنيا إلى عداوة يوم القيامة فهم مخلدون في عذاب جهنم الذي لا يخفف عنهم لحظة ولا يجدون لهم حِوَلاً عنه أو أملاً في الخلاص منه ، بل هم فيه قانطون من رحمة الله آيسون من النجاة عقاباً لهم على ما كسبوا لأنفسهم وأوردوها التهلكة بظلمهم وتكذيبهم الرسل عليهم السلام .

ويَعِنُّ لهؤلاء في حال آخر أن يستغيثوا فينادون خازن النار متوسلين إليه أن يسأل ربه القضاء عليهم بالموت والهلاك ليستريحوا من عذابهم ، وحسب المنايا لهؤلاء أن تكنَّ أمانيهم ! ، ولكن لا يجابون بغير التيئيس والتخذيل ﴿ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ ﴾ وباقون أبداً فلا خلاص ولا قضاء ، ثم لا يتركون حتى يعلنوا بسبب عذابهم ومكثهم في جهنم ، وهو رفضهم للحق الذي جاءهم على ألسنة الرسل عليهم السلام ، وكرههم الشديد لهذا الحث الذي يجرم أهواءهم ويحرمهم من عبادة أصنامهم .

ويختم المقطع بتهديد المشركين على كيدهم في رد الحق الذي كانوا به هم المكيدين حيث رد الله عليهم وبال كيدهم ومكرهم ، فهل ظن هؤلاء أن الله لا يسمع سرهم ونجواهم وهو الذي يعلم السر وأخفى؟، وملائكته من الحفظة ـ مع ذلك ـ يكتبون ويسجلون ما صغر وكبر من أعمالهم وأقوالهم ، وما أسروا به وما أعلنوا؟ ويا عجباً لهؤلاء وقد عرفوا الحق فكرهوه ثم كادوا له وَوهِموا أنهم ناجون !!

من فوائد الآيات :

١- انقلاب الصداقة في غير الحق والمحبة في غير الله إلى عداوة يوم القيامة يتبرأ أصحابها بعضهم من بعض .

٢- أمن المتقين في الآخرة وسرورهم وأزواجهم حيث يخاف الظلمة والمشركون ويحزنون.

٣- بشارة الله للمؤمنين في الآخرة بالجنة ونعيمها الذي يفوق الوصف ولا يدركه الخيال.

٤- تفضل الله بالجنة على عباده المتقين وتفاوت درجاتهم ونعيمهم فيها حسب أعمالهم الصالحة .

٥- خلود الظلمة والمشركين في جهنم لا يخفف عنهم من عذابها ولا يُقضى عليهم فيها جزاء كرههم للحق وظلمهم لأنفسهم وغيرهم .

٦- مقابلة القرآن بين نعيم المتقين وعذاب الظلمة والمشركين للترغيب في الأول والترهيب من الثاني.

٧- علم الله بسريرة الإنسان وعلانيته ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ [طه : ٧] .

١- وضحي معاني الكلمات القرآنية التالية : (الأخِلاَّء ، تُحْبَرون ، صحاف ، يفتر ، ملبسون ، ماكثون ، بلى) .

٢- ما موضوع هذا المقطع ؟ وما علاقته بسابقه ؟ وما سبب التعادي يوم القيامة بين الأصدقاء في الدنيا ؟

٣- ما الحكمة في بقاء مودة المتقين وصداقاتهم يوم القيامة ؟ وما جزاؤهم ؟ ومن يبشرهم به ؟

٤- ما معنى أن يرث المؤمن الجنة بعمله وهي من فضل الله ؟ وما ألوان النعيم فيها ؟ وماذا تعرفين من الأحاديث في ذلك ؟

٥- بماذا استحق المجرمون عذاب جهنم ؟ وما أحوالهم في عذابهم ؟ وماذا طلبوا من مالك ؟ وبماذا أجابهم ؟

٦- ما معنى إبرام المشركين أمراً ؟ وما السر والنجوى ؟ وما المقصود بالرسل ؟ وما الغرض من الاستفهام عن إبرام المشركين وظنهم ؟

٧- اذكري ثلاث فوائد عرفتها في هذا المقطع ، واشرحي واحدة منها .

تنزيه الله ومناقشة المشركين في شركهم

﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَانَ رَبِّ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ
يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ
الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ
﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا
وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ
الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ
وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ
فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ
﴿٨٨﴾ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾

(سورة الزخرف) .

معاني المفردات :

الكلمة	معناها
سبحان رب السموات	: أي تنزه تعالى الخالق عما يزعمون له من الولد.

يخوضوا : أصله من الخوض في الماء واقتحامه، والمراد تقحمهم على الله بالباطل وتخرصهم عليهم بالكذب.

يلعبوا : يلهوا في دنياهم ، كما يلهو اللاعب الغافل عن عاقبة لهوه .

يَدْعُون من دونه : أي يعبدون من دون الله من الأصنام وغيرها.

الشفاعة : الوسيلة والوساطة في قضاء حوائج الآخرين عند غيرهم.

من شهد بالحق : المقصود بهم مَنْ نطقوا بالحق وشهدوا لله بالوحدانية، ثم عُبدُوا ظلما من غيرهم كالملائكة وعيسى بن مريم.

يُؤْفَكون : يصرفون وينقلبون، أصله من الإفك وهو قلب الشيء وصرفه عن وجهه.

قيله : أي قوله : والقيل والقول والمقال واحد والضمير للرسول ﷺ ، والمراد شكواه بقوله : ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴾ .

فاصفح عنهم : أي اعف عنهم عفو المعرض، وأصله من صفحة العنق التي يوليها الخصم لخصمه غير مبال به.

سلام : أي سلام متاركة، والمراد ترك إجابتهم بمثل كلامهم كقوله تعالى : ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ [القصص : ٥٥].

المعنى الإجمالي للآيات :

ويُعرض سياق الآيات عن المشركين وكيدهم وتهديد الله لهم ليبدأ هذا المقطع بتوجيه الرسول ﷺ لقطع شبهة المشركين في عبادتهم للملائكة،وإلزامهم الحجة بقوله لهم : إن صح أن كان لله ولد بزعمكم، وَأَثْبَتُّم ذلك ببرهان صحيح وحجة قاطعة لكنتُ أسرع الناس لطاعته ، وأحقهم بتوقيره والانقياد له، أما وأني لا أعبد إلا الله وحده لأني أعرَفُكم به ؛ فلا وجود لهذا الولد ، وتنزه الله وتقدس خالق السموات

والأرض عن الشرك والشركاء وما يقوله عنه الظالمون؛ إذ لا يستقيم ذلك مع قيامه بشأنها .

و ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٢] .

وما قول هؤلاء عن الله ووصفهم له بصفات النقص إلا خوض بالباطل ولهو بالكلام غير مسؤول، ومن ثم يأمر الله ورسوله ﷺ بإهمالهم حتى يلقوا جزاء خوضهم ولعبهم يوم القيامة .

ويمضي السياق في تأكيد وحدانية الله، فهو الواحد الأحد المعبود بحق من أهل السموات والأرض، والمدعو وحده بهذا اسم « الله » لا يشركه فيه غيره، وهو الحكيم في تدبير خلقه وملكه، العليم بشؤونهم وما يصلحهم، وتعالى الله وتعاظم عما يتصورونه عنه من الشريك والولد، الذي يتعارض مع ملكه المطلق للسموات والأرض وما بينهما، والذي عنده وحده علم الساعة لا يجليها لوقتها إلا هو، وإليه مرجع الخلق ومصيرهم ، حيث يحاسبهم ويجزيهم بما كان منهم في الدنيا، ويومها لا تملك المعبودات من دونه شفاعة عنده إلا لمن نطق بالتوحيد وشهد بالحق وهو على علم بصيرة بما ينطق به ويشهد ، ولا يعقل أن يشفع أهل الحق والتوحيد لأهل الباطل الذين جحدوا الحق عن كراهية وعادوا التوحيد عن جهل وحماقة.

ويختم هذا المقطع ومعه السور بمواجهة المشركين بتناقضهم في القول والعمل، فهم إن سُئِلوا عمن خلقهم اعترفوا بأنه الله، وأكدوا أنه وحده الخالق لهم لا شريك له في ذلك، فكيف يُصْرَفون عن توحيده في العبادة ويشركون معه غيره مِمَّن يتوقعون منهم شفاعة عنده وهم لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً وسلوك عجيب حيث ينسلخون عن فطرتهم وينقلبون كافرين بمن خلقهم فَيُيَئِّسون رسولهم من إيمانهم ويُلجئونه إلى شكايتهم لربهم من إصرارهم على كفرهم وجهلهم، حيث يجيبه ربه بتركهم والإعراض عنهم حتى يأتيهم بأس الله ووعيده، وحينئذ سيعلمون عاقبة تناقضهم وإصرارهم على شركهم وكفرهم ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء : ٢٢٧] .

-١ مشروعية مجاراة الخصوم على باطلهم ومناقشتهم بمنطقهم لإلزامهم الحجة ونقض باطلهم ومعتقدهم الفاسد .

٢ ـ لا يستقيم أمر السموات والأرض والقيام عليهما إلا بوحدانية الله وملكه المطلق لهما وما فيهما .

٣ ـ من أسماء الله الرحمن والملك والرب، ومن صفاته الوحدانية والعلم والحكمة .

٤ ـ اختصاص الله ـ سبحانه وتعالى ـ بِعلم الساعة وزمن قيامها ورجوع الخلق كلهم إليه .

٥ ـ لا شفاعة عند الله لأحد من خلقه إلا من نطق بالتوحيد وشهد بالحق وأذن الله له بالشفاعة لمن يرضى عنه .

٦ ـ تناقض المشركين في أقوالهم وأفعالهم وعبادتهم لغير الله الذي يعترفون بخلقه وحده لهم ويعبدون غيره .

١ ـ وضحي معاني الكلمات القرآنية التالية : (سبحان ، يخوضوا ، يلعبوا ، يدعون ، يؤفكون ، اصفح).

٢ ـ ما موضوع هذا المقطع؟ وبماذا حاجّ الرسول ﷺ المشركين؟ وما معنى افتراض الولد لله في محاجتهم؟

٣ ـ بماذا وصف الله زعم المشركين أن له ولداً؟ وبماذا وجه رسوله ﷺ في مواجهتهم؟ وبأي شيء تهددهم ؟

٤ ـ « أكدت آيات هذا المقطع وحدانية الله وتنزيهه عما وصفه به الظالمون » اشرحي هذا القول مستعينةً بالله ثم بما تحفظين من الآيات .

٥ ـ ما معنى الشفاعة ؟ وما حكمة نفيها عن بعض المعبودين وإثباتها لآخرين ؟ وما شروط قبول الشفاعة عند الله ؟

٦ ـ وضحي تناقض المشركين في القول والعمل مبرزة شكوى رسول الله ﷺ لربه منهم . وبماذا أجابه ؟

٧ ـ اذكري ثلاث فوائد عرفتها من هذا المقطع ، مع شرح واحدة منها .

الواجب على المسلم في تفسير القرآن أن يشعر نفسه حين نفسه حين يفسر القرآن بأنه مترجم عن الله تعالى شاهد عليه بما أراد من كلامه فيكون معظما لهذه الشهادة خائفاً من أن يقول على الله بلا علم فيقع فيما حرم الله فيجزي بذلك يوم القيامة قال الله تعالى :

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾ (٢) .

(١) الأعراف آية : ٣٣ .

(٢) الزمر آية : ٦٠ .

يرجع في تفسير القرآن إلى ما يأتي :

أ ـ كلام الله تعالى ؛ فيفسر القرآن بالقرآن لأن الله تعالى هو الذي أنزله وهو أعلم بما أراد به .

ولذلك أمثلة منها :

١ ـ قوله تعالى : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (١) .

فقد فسر أولياء الله بقوله في الآية التي تليها : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾ (١) .

٢ ـ قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴾ [الطارق : ٢] .

فقد فسر الطارق بقوله في الآية التالية : ﴿ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ﴾ [الطارق : ٣] .

٣ ـ قوله تعالى : ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴾ (٢) .

فقد فسر دحاها بقوله في الآيتين بعدها : ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴾ (٢) .

ب ـ كلام رسول الله ﷺ فيفسر القرآن بالسنة لأن رسول الله ﷺ مبلغ عن الله تعالى فهو أعلم الناس بمراد الله تعالى بكلامه .

---

(١) يونس آية : ٦٢ ، ٦٣ .

(٢) النازعات آية : ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ .

مراجع كتاب التفسير
للسنة الثانية الثانوية

١ ـ أسباب النزول ـ أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت٤٦٨هـ).

٢ ـ بذل المجهود في حل أبي داود ـ المحدث الشيخ خليل أحمد السهارنفوري الهندي (ت١٣٤٦هـ).

٣ ـ البرهان في علوم القرآن ـ بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت٧٩٤هـ).

٤ ـ التبصرة في القراءات السبع ـ الإمام أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ).

٥ ـ تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ).

٦ ـ تفسير المراغي ـ الشيخ أحمد مصطفى المراغي من أساتذة دار العلوم بالقاهرة سابقاً.

٧ ـ التفسير الواضح ـ الشيخ محمد محمود حجازي من علماء الأزهر الشريف.

٨ ـ الجامع لأحكام القرآن ـ أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت٦٧١هـ) .

٩ ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ـ شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي (ت١٢٧٠هـ) .

١٠ ـ سنن الدارمي ـ الحافظ أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (ت٢٥٥هـ).

١١ ـ سنن ابن ماجه ـ أبو عبد الله الحافظ محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٥هـ).

١٢ ـ صحيح مسلم ـ الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (ت٢٦١هـ) .

١٣ ـ العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية وشرحها ـ للشيخ صالح بن فوزان الفوزان .

١٤ ـ غيث النفع في القراءات السبع ـ الشيخ علي النوري الصفاقسي بهامش سراج القاري لابن القاصح .

١٥ ـ فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري ـ الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ).

١٦ ـ فتح رب البرية بتلخيص الحموية للشيخ محمد بن صالح العثيمين .

١٧ ـ الفتح الرباني في ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ـ أحمد بن عبد الرحمن البنا (ت ١٣٧٨هـ) .

١٨ ـ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ـ محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ).
١٩ ـ كلمات القرآن ـ الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتي الديار المصرية سابقاً .
٢٠ ـ الكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل ـ موفق الدين أبو محمد عبد الله بن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠هـ).
٢١ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ـ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧هـ) .
٢٢ ـ هداية القرآن في الآفاق والأنفس وإعجازه العلمي ـ د. محمد إبراهيم شريف .

فهرس مقرر التفسير

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٤-٥
مقرر الفصل الدراسي الأول	
١ ـ تفسير سورة « غافر »	٨-٦١
بين يدي السورة	٨
التفسير	١٠-٦١
المقطع الأول الآيات من (١ ـ ٩)	١٠
المقطع الثاني الآيات من (١٠ ـ ٢٠)	١٦
المقطع الثالث الآيات من (٢١ ـ ٢٧)	٢٢
المقطع الرابع الآيات من (٢٨ ـ ٣٥)	٢٦
المقطع الخامس الآيات من (٣٦ ـ ٤٦)	٣٢
المقطع السادس الآيات من (٤٧ ـ ٥٥)	٣٨
المقطع السابع الآيات من (٥٦ ـ ٦٠)	٤٣
المقطع الثامن الآيات من (٦١ ـ ٦٨)	٤٧
المقطع التاسع الآيات من (٦٩ ـ ٧٨)	٥٢
المقطع العاشر الآيات من (٧٩ ـ ٨٥)	٥٧

الموضوع	الصفحة
٢ ـ تفسير سورة « فصلت »	٦٢-١٠٠
بين يدي السورة	٦٢
التفسير	٦٤-١٠٠
المقطع الأول الآيات من (١ ـ ٨)	٦٤
المقطع الثاني الآيات من (٩ ـ ١٢)	٦٨
المقطع الثالث الآيات من (١٣ ـ ٢١)	٧٣
المقطع الرابع الآيات من (٢٢ ـ ٣٢)	٧٨
المقطع الخامس الآيات من (٣٣ ـ ٣٩)	٨٥
المقطع السادس الآيات من (٤٠ ـ ٤٦)	٩٠
المقطع السابع الآيات من (٤٧ ـ ٥٤)	٩٥

مقرر الفصل الدراسي الثاني

١ ـ تفسير سورة « الشورى »	١٠٢-١٣٧
بين يدي السورة	١٠٢
التفسير	١٠٤-١٣٧
المقطع الأول الآيات من (١ ـ ١٢)	١٠٤
المقطع الثاني الآيات من (١٣ ـ ١٨)	١١١
المقطع الثالث الآيات من (١٩ ـ ٢٨)	١١٧
المقطع الرابع الآيات من (٢٩ ـ ٤٣)	١٢٤

الموضوع	الصفحة
المقطع الخامس الآيات من (٤٤ ـ ٤٨)	١٣٠
المقطع السادس الآيات من (٤٩ ـ ٥٣)	١٣٤
٢ ـ تفسير سورة « الزخرف»	١٣٨-١٧٩
بين يدي السورة	١٣٨
التفسير	١٤٠-١٧٩
المقطع الأول الآيات من (١ ـ ١٤)	١٤٠
المقطع الثاني الآيات من (١٥ ـ ٢٥)	١٤٦
المقطع الثالث الآيات من (٢٦ ـ ٣٥)	١٥١
المقطع الرابع الآيات من (٣٦ ـ ٤٥)	١٥٦
المقطع الخامس الآيات من (٤٦ ـ ٥٦)	١٦٠
المقطع السادس الآيات من (٥٧ ـ ٦٦)	١٦٥
المقطع السابع الآيات من (٦٧ ـ ٨٠)	١٧٠
المقطع الثامن الآيات من (٨١ ـ ٨٩)	١٧٥
أصول التفسير	١٨٠
مراجع الكتاب	١٨٢
الفهرس	١٨٤

شركة الطابع الأهلية للأوفست المحدودة
National Offset Printing Press Ltd. Co.
الرياض - المملكة العربية السعودية